الفصل الثانى

محمد ﷺ الزوج

obeikandl.com

obeikandl.com

محمد ﷺ الزوج

تمهيد

اختلف فى عدد أزواج رسول الله ﷺ، ولكن الثابت أن كتب المصادر أجمعت أنه ﷺ تزوج ثلاثة عشر امرأة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفى عن تسع هن: عائشة بنت أبى بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة، وسودة بنت زمعه بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، وصفية بنت حيى بن أخطب. وأول من تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ولم يجمع معها زوجه أخرى، وهى أم أولاده جميعا، عدا إبراهيم بن مارية القبطية وهى سرية رسول الله ﷺ وريحانة سريته أيضا.

وكان رسول الله ﷺ نعم الزوج، فهو القدوة للبشرية كلها فى كل شىء. وقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (كان خلقه القرآن). وذلك عندما سئلت عن خلقه ﷺ. كما روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ (كان أحسن الناس خلقاً)[1].

كذلك سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن خلق رسول الله

(١) انظر: طبقات ابن سعد جـ١ القسم الثانى ص١٢٦، وقد ذكر ول ديورانت رسول الله صلى ﷺ بقوله: (ولدت آمنة أعظم شخصية فى تاريخ العصور الوسطى) انظر قصة الحضارة ـ عصر الإيمان مج٢ جـ٢ ص٢٠٠. ترجمة محمد بدران.

ﷺ فى بيته فقالت رضى الله عنها (كان أحسن الناس خلقا لم يكن فاحشا ولامتفحشا ولاصخابا فى الأسواق، ولايجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح).

كذلك قالت رضى الله عنها (كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم الا أنه كان ضحاكا بساما)(١).

كما سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عما كان رسول الله ﷺ يصنع فى بيته، فقالت رضى الله عنها (كان فى مهنة أهله، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة)(٢).

كما روى محب الدين الطبرى(٣) أن عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن عمل رسول الله فى بيته قالت: (كان صلى عليه وسلم يخدم فى مهنة أهله، ويقطع اللحم، ويقم البيت، ويعين الخادم فى خدمته).

كما ذكر حديث عن عروة عن أبيه قال: (قيل لعائشة، ماذا كان النبى ﷺ يصنع فى بيته، قالت: مايصنع أحدكم يرقع ثوبه «وقيل يخيط ثوبه» ويخصف نعله ويعمل ماتعمل الرجال فى بيوتهم).

كما ذكر عنها أيضا قولها حينما سئلت عما كان ﷺ يصنع في أهله قالت: (كان يكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)، كذلك ورد عنه ﷺ قوله: (خدمتك زوجتك صدقة)(٤). كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (كان يرقع الثوب. ويقم البيت، ويخصف النعل، ويطحن عن خادمه إذا أعيا)(٥).

(١) المصدر السابق لابن سعد ص١٢٧.

(٢) المصدر السابق لابن سعد.

(٣) انظر السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى ص٢٢. القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٩.

(٤) نفس المصدر السابق لابن سعد ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٥) ابن الأثير أسد الغابة مج١ ص٣٦.

كذلك ذكر عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حديث رواه عروة ابن الزبير أنها قالت: (ماخيّر رسول الله ﷺ فى أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها)(١).

كما روى أيضا عن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: (ماضرب رسول الله ﷺ خادما له ولا امرأة ولاضرب بيده شيئا قط إلا أن يحاصر فى سبيل الله)(٢).

كما ذكر عن أبى سعيد الخدرى أنه قال (كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها)(٣). وكان رسول الله متواضعا فى شرفه وعلو محله. كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيده فى حاجتها فلا يفارقها حتى هى التى تنصرف، وما دعاه أحد إلا قال: (لبيك)(٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، فكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان حين ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)(٥).

كذلك روى أنس بن مالك عن خلق رسول الله ﷺ قال: (لم يكن

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب: باب صفة النبى ﷺ. صحيح ومسلم كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله، وانظر أيضا: اللؤلؤ والمرجان. كتاب الفضائل.
(٢) انظر طبقات ابن سعد جـ١ ص١٢٨ ـ ١٢٩ ابن الأثير: أسد الغابة مج١ ص٣٦.
(٣) البخارى: كتاب المناقب باب صفة النبى ﷺ مسلم: كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، وانظر أيضا: ابن سعد نفس المصدر السابق ص١٣٠.
(٤) ابن الأثير: أسد الغابة مج١ ص٣٥.
(٥) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى، باب حدثنا عبدان، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، وانظر أيضا اللؤلؤ والمرجان، كتاب الفضائل، ابن سعد: الطبقات ج١ القسم الثانى ص١٣١.

رسول الله ﷺ سبابا ولافحاشا ولالعانا، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة (ماله ترب جبينه) وعن أنس أيضا أنه ، (كان يجيب دعوة العبد)[1].

وعن أنس أيضا أن نفرا من أصحاب رسول الله ، سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله فى السر فأخبروهم فقال بعضهم لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، وقال بعضهم أصوم ولاأفطر، فحمد النبى ﷺ الله وأثنى عليه ثم قال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى)[2].

كما أخرج الترمذى فى سننه ،كتاب النكاح،باب ماجاء فى النهى فى التبتل أن النبى ﷺ نهى عن التبتل)[3]. وكذلك أخرجه النسائى فى باب النهى عن التبتل.

شدة العيش على رسول الله ﷺ وأهله:

فتحت على رسول الله ﷺ آفاق الدنيا، وانهمرت الغنائم على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات، إلا أن رسول الله ﷺ ظل هو وأهله يعيشون على التقشف والزهد وضرورات الحياة، فقد روى عن ابن عباس (رضى الله عنه) (أن النبى ﷺ كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء) قال: (وكان عامة خبزهم الشعير).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه (أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبى ﷺ فقال: (ماهذه الكسرة يافاطمة) قالت: (قرص

(١) المصدر السابق لابن سعد ص١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح،باب الترغيب فى النكاح، ابن سعد: الطبقات جـ١ القسم الثانى، ص١٣٤.

(٣) حديث رقم (١٠٨٢).

خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة) فقال: (أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام)(١).

(وعن عبد الرحمن بن الأسود عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها، قالت: ماشبع آل محمد ثلاثا من خبز بر حتى قبض، ومارفع عن مائدته كسره فضلا حتى قبض)(٢).

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال، ثم هلال، لايوقد فى شيء من بيوته نار لا خبز ولاطبيخ قالوا بأى شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة قال بالأسودين التمر والماء، وكان له جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً لهم منائح(٣) يرسلون إليه بشيء من لبن)(٤).

وعن أبى نضر قال: (سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: إنى لجالسة مع رسول الله ﷺ فى البيت فأهدى لنا أبو بكر رجل شاه، فإنى لأقطعها مع رسول الله ﷺ فى ظلمة البيت فقال قائل أما كان لكم سراج فقالت: لوكان لنا مايسرج به أكلناه)(٥).

كما روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب قال: (رأيت رسول الله ﷺ يلتوى فى اليوم من الجوع، مايجد من الدقل ما يملأ به بطنه)(٦).

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد جـ١ القسم الثانى ص١٦١، ورواه الترمذى فى سننه كتاب الزهد باب ماجاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله حديث رقم(٢٣٦٠).

(٢) المصدر السابق لابن سعد ص١٦١،١٦٣. كما رواه الترمذى فى سننه كتاب الزهد باب ماجاء فى معيشة النبى ﷺ وأهله حديث رقم (٢٣٥٨).

(٣) المنائح: منحه اللبن أن يعطيه ناقة أو شاه ينتفع بلبنها ويعيدها.

(٤) المصدر السابق لابن سعد ص١٦٢ وانظر أيضا سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب معيشة آل محمد ﷺ الحديثان (٤١٤٤)، (٤١٤٥).

(٥) المصدر السابق لابن سعد ص١٦٦.

(٦) سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب معيشة آل محمد ﷺ حديث رقم (٤١٤٦). و (الدقل) وهو أردأ التمر.

وعن أسماء بنت يزيد (أن رسول الله ﷺ توفى ودرعه مرهونة عند اليهود بوسق من شعير)[١].

كذلك كان رسول الله ﷺ يصلى فى ثوب واحد يتقى بفضوله حر الأرض وبردها[٢].

روى عن أبى هريرة (أن سائلا سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة من ثوب واحد، فقال رسول الله ﷺ أو لكلكم ثوبان)[٣].

أما عن فراش رسول الله ﷺ فقد كان جلدا محشوا ليفا، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان ضجاع النبى ﷺ أدم[٤] محشوا ليفا[٥].

كما ورد فى البخارى ومسلم عن أبى بردة قال: (أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت قبض روح النبى ﷺ فى هاذين)[٦].

وعن فراشه أيضاً ﷺ روت عمره بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت: (أذن رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب عليه ورسول الله ﷺ راقد ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وقد أثر فى جنبه، وتحت رأسه وسادة من أدم محشوه ليفا وعلى رأسه أهب[٧] معلقة فيها ريح)[٨].

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: (دخلت امرأة من الأنصار علىّ، فرأت فراش الرسول ﷺ عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليه بفراش حشوه صوف، فدخل علىّ رسول الله ﷺ فقال: ماهذا؟ قلت:

(١) نفس المصدر السابق لابن سعد ص١٦٩.
(٢) المصدر السابق لابن سعد ص٢٢٤.
(٣) انظر موطأ مالك كتاب الصلاة باب الرخصة فى الصلاة فى الثوب الواحد.
(٤) الأدم هو الجلد المدبوغ.
(٥) طبقات ابن سعد جـ١ القسم الثانى ص٢٢٦، سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب ضجاع آل محمد ﷺ حديث رقم (٤١٥١).
(٦) صحيح البخارى: كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائل، صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة باب التواضع فى اللباس. والأزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، انظر المعجم الوسيط.
(٧) أهب: جمع إهاب وهو الجلد غير المدبوغ.
(٨) طبقات ابن سعد جـ١ ص٢٢٧ (القسم الثانى).

يارسول الله فلانة الأنصارية دخلت علىّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت بهذا فقال: (رديه) فلم أرده، وأعجبنى أن يكون فى بيتى حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «والله ياعائشة لوشئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة»(١).

نفقة رسول الله ﷺ فى بيته:

أما عن نفقة رسول الله ﷺ على نسائه فقد كان ينفق عليهن كل عام عشرين وسقا(٢) من شعير وثمانين وسقا من تمر. وبذلك نرى إلى أى مدى كانت بساطة الحياه فى بيت رسول الله ﷺ. وعندما اتفتحت الدنيا أمام المسلمين وكثرت الغنائم، طالب أزواج الرسول ﷺ منه زيادة النفقة وتظاهرن على ذلك، فما كان منه ﷺ إلا أن هجرهن شهرا كاملا، ثم نزلت آية التخيير بين الدنيا والآخرة فخيرهن ﷺ فاخترن كلهن الله ورسوله، واخترن الحياة الخشنة على متاع الحياة الدنيا الزائل(٣).

إلا أن رسول الله ﷺ كان يحب الرائحة الزكية، ويحب الطيب، وكان يهدى لنسائه الطيب وأواقى المسك، فقد ذكر ابن سعد فى طبقاته(٤) أن رسول الله ﷺ عندما تزوج أم سلمة قال لها: (إنى قد أهديت إلى النجاشى أواقى من مسك وحله وانى لا أراه قد مات ولا أرى الهدية التى أهديت إليه إلا سترد إلى فإذا ردت فهى لك) فلما ردت الهدية أعطى لكل امرأة من نسائه أوقية من مسك وأعطى سائره أم سلمة، وأعطاها الحله.

(١) المصدر السابق لابن سعد ص٢٢٧، وانظر أيضا الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلانى جـ٥ ص١٥٠ تصحيح محمد المجذوب، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٠.

(٢) الوسق: ستون صاعا، والصاع خمسة أرطال وثلث: المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية جـ٢ ص١٠٤٤.

(٣) انظر سورة الأحزاب الآيات ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣، وانظر أيضا صحيح البخارى عند تفسيره لهذه الآيات، كتاب التفسير جـ٦ ص١٤٦، ص١٤٧، طـ دار الشعب.

(٤) جـ٨ ص٦٧.

إلا أن منهج رسول الله ﷺ فى المعيشة بصفة عامة هو الزهد والتقشف فعندما تظاهرت نساء الرسول ﷺ وطالبن بزيادة النفقة وخيرهن رسول الله ﷺ بين الحياة معه على زهدها وتقشفها، وبين أن يسرّحهن سراحا جميلا اخترن الله ورسوله راضيات مرتضيات.

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ **يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا. وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وأذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا** ﴾(٢).

وبذلك جعل النبى ﷺ من أهل بيته ونسائه وأبنائه مثلا أعلى فى ترك

(١) انظر سورة الأحزاب ايات: ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣.

(٢) وانظر أيضا صحيح البخارى كتاب التفسير جـ٦ ص١٤٦ ـ ١٤٧ تفسير ابن كثير: ويقول ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى (وقرن فى بيوتكن) أى إلزمن بيوتكن فلاتخرجن لغير حاجة من الحوائج الشرعية كالصلاة فى المسجد بشرط كما قال رسول الله ﷺ (لاتمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات) أى غير متطيبات. وفى رواية أخرى (وبيوتهن خير لهن) وهذا معناه أن للمرأة الحق فى أن تخرج للصلاة ولكن دون تبرج أوتطيب، انظر أيضا طبقات ابن سعد جـ٨ ص١٢٩ ـ ١٣١.

الدنيا وراء ظهورهم، وابتغاء وجه الله والدار الآخرة والرفيق الأعلى من الجنة.

صداق رسول الله ﷺ لنسائه:

أما عن صداقه ﷺ لنسائه فلم يتعد اثنتى عشرة أوقية ونصفا وهى تعادل خمسمائة درهم، وكان ﷺ يوصى بعدم المغالاة فى المهور، كما ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن مهور أزواج رسول الله ﷺ لم تزد على عشرة أواق(١).

بيوت رسول الله ﷺ وفراش الزوجية:

وعندما تزوج رسول الله ﷺ من أمهات المؤمنين فى المدينة ابتنى لهن بيوتا بسيطة منخفضة السقوف صغيرة مبنية من الجريد عليه طين وبعضها من الحجارة المصفوفة وسقوفها كلها من الجريد، وعلى أبوابها المسوح من الشعر الأسود(٢).

وكان فراش الزوجية مع عائشة رضى الله عنها مثلا من أدم حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض سوى الحصير(٣).

وعندما تزوج من أم سلمة رضى الله عنها كان فراش الزوجية أيضا حشوه ليف، وقدحا، وصحيفة، ومجشة أى الرحاء. وكان فى بيت أم المساكين زينب بنت خزيمة رضى الله عنها والذى دخلت فيه أم سلمة

(١) انظر ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص١١٥ ـ ص١١٦، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٦٣، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص٢٠٦، ٢٠٧، صحيح البخارى: كتاب النكاح موطأ مالك: كتاب النكاح باب ما جاء فى الصداق والحياء، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص١٥ ـ ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد جـ٨ ص١١٥، ابن كثير البداية والنهاية جـ٣ ص٢٢٠ ـ ص٢٢١.

(٣) على برهان الدين: السيرة الحلبية جـ٢ ص١٦١. والأدم كما ذكرنا هو الجلد.

جره بها شيء من شعير وبرمه وسمن. فكان ذلك الطعام هو طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه(١).

هكذا كانت بساطة الحياة فى بيت النبى ﷺ ، إلا أنه ﷺ كان يحب الرائحة الزكية والطهارة ويتطيب ويأمر نساءه بالتطيب، وكان يهدى نساءه الطيب والمسك(٢).

معاملاته ﷺ مع أزواجه:

أما عن معاملاته ﷺ مع أزواجه فقد كان يضاحكهن، وكُنّ يراجعنه، وكان يقسم بينهنّ بالعدل فى المبيت والنفقة،وكان يقرع بين نسائه فى الخروج للحرب أو للغزوات (٣). وعندما أسنّت سوده بنت زمعه رضى الله عنها ـ وكان ﷺ قد تزوجها وهى كبيرة السن ـ وأحست أن رسول الله ﷺ سوف يطلقها حتى لايظلمها، وهبت يومها لعائشة رضى الله عنها، وآثرت أن تعيش فى بيت رسول الله ﷺ ، وأن تكون من أمهات المؤمنين حتى نهاية عمرها(٤).

---

(١) ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٦٤.

(٢) نفس المصدر السابق لابن سعد ص٦٧.

(٣) انظر صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إن أراد سفرا، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

(٤) لتفصيل ذلك أنظر تفسير ابن كثير عند قوله تعالى فى سورة النساء آية ١٢٨ «وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلاجناح عليهما إن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير» فقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى سودة بنت زمعة وأيضا فى امرأة أخرى من الصحابة، وانظر أيضا ترجمة سودة بنت زمعه فى طبقات ابن سعد جـ٨ ص٣٥،ص٣٩، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣١٧ ـ ٣١٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٥٧ ـ ١٥٨، ابن حجر: الإصابة جـ٤ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، والبخارى: كتاب النكاح، باب كثرة النساء، مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرّتها وشرح الحديث لابن عباس، وانظر أيضا السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين لمحب الدين الطبرى ص١٧.

أما تفضيله ﷺ لعائشة فإن هذا لأنها كانت البكر الوحيدة بين زوجاته كما يرجع للميل القلبى لدى رسول الله ﷺ الا أن العدل كان الأساس فى معاملته لنسائه رضوان الله تعالى عنهن(١).

وقد جعل محمد ﷺ خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، وأمر بمدارة ضعف المرأة ونقصها، كما أمر الرسول ﷺ الرجل أن يتجمل لأمرأته ويترفق فى معاملتها، وكان يقسم بينهن فى المبيت والإيواء والنفقة، أما المحبة فكان يقول (اللهم قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لاأملك) وكانت سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق... تقول عائشة رضى الله عنها: (كان لايفضل بعضنا على بعض فى مكثه عندهن فى القسم وقل يوم إلا كان يطوف علينا جميعا حتى يبلغ التى هو فى نوبتها فيبيت عندها.. فكان إذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا وكان ينهى عند ذلك)(٢).

وقد ذكر البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ كان عنده تسع، وكان يقسم لثمان ولايقسم لواحدة (يقصد بذلك سوده التى وهبت يومها لعائشة)(٣).

كما روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه من (السُنةَ إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا)(٤).

(١)انظر حديث عائشة رضى الله عنها فى هذا العدد فى صحيح البخارى: كتاب النكاح باب نكاح الأبكار، وانظر أيضا تفسير ابن كثير عند الآية ٥١ من سورة الأحزاب (والله يعلم ما فى قلوبكم) وحديث عائشة هناك فتقول رضى الله عنها (كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: (اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) وقد أخرجه أصحاب السنن الأربعة.

(٢) انظر ابن القيم الجوزيه: زاد المعاد جـ١١ ص١٣٥ ـ ١٣٩.

(٣) كتاب النكاح، باب كثرة النساء، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها.

(٤) صحيح البخارى كتاب النكاح، باب إذا تزوج البكر على الثيب.

وعن أنس أيضا قال: (من السُنة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثا ثم قسّم. قال أبو قلابة ولو شئت لقلت إن أنسا رفعه إلى النبى ﷺ)[1].

هذا وقد أفاضت علينا كتب السيرة من فيوضات شمائل النبى ﷺ وكيف كان يعامل أزواجه، فكان دائم الابتسام فى وجوهن يزورهن، جميعا فى الصباح والمساء، ولم يجعل ﷺ لهيبة النبوة سدا بينه وبين أزواجه فقد كان لينا ضاحكا بساما ولم يفرض على أزواجه شخصية النبى إلا عند الضرورة القصوى. وكان ﷺ يسمح لأزواجه أن يراجعنه حتى قالت امرأة عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) له عندما نهرها عن مراجعته: (عجبا يا ابن الخطاب، ماتريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان) فتعجب عمر من ذلك، وذهب يسأل أزواج رسول الله ﷺ ليتأكد من ذلك، فسأل أم سلمة لقرابته منها فردت عليه ردا أخجله لما فيه من التدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه[2].

وقد كان لرسول الله ﷺ بيتان أحدهما بمكة حيث عاش شبابه مع أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها أكثر من خمسة وعشرين عاما لم يتزوج عليها، رغم أنها تكبره بخمسة عشر عاما، وظلت تجاهد معه فى سبيل الله والدعوة للإسلام حتى توفيت رضى الله عنها عائدة من حصار للمسلمين فى شعب أبى طالب. وقد أنجبت له خديجة كل أبنائه عدا إبراهيم الذى أنجبه من مارية القبطية.

(١) صحيح البخارى كتاب النكاح، باب إذا تزوج الثيب على البكر.

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند الآية الأولى من سورة التحريم، وكذلك صحيح البخارى فى تفسيره عند هذه الآية وحديث ابن عباس وسؤال عمر بن الخطاب عن معاملة ﷺ لنسائه، ومسلم كتاب الطلاق، باب فى الإيلاء.

أما البيت الثانى فكان فى المدينة حيث عاش مع زوجاته الآخريات، ولم ينجب منهن سوى من مارية القبطية.

وقد شهد البيت الأول فى مكة الجهاد منذ بدء الدعوة حتى الهجرة وتعذيب المشركين للمسلمين حتى هاجروا للمدينة. بينما شهد البيت الثانى فى المدينة غزوات رسول الله ﷺ العديدة وإقامة الأمة الإسلامية فى المدينة، وإقامة أسس المجتمع الاسلامى بإيجابياته وسلبياته ليكون نموذجاً مثالياً لهذا المجتمع.

وقد كان محمد ﷺ قدوة لنا فى قيادته لهذا المجتمع، كما كان قدوة أيضا فى إطار المجتمع الصغير وهو الأسرة، زوجا وأبا وسيدا.

بيته ﷺ فى مكة ،مع سيدة نساء العالمين، :

خديجة ،أم المؤمنين رضى الله عنها، بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية :

كانت خديجة رضى الله عنها قبل الإسلام امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم فيه مقابل جزء من المال، وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة، وكان رجالات قريش يتمنون الزواج منها بعد أن ترملت من زوجيها أبى هاله هند بن النباش من بنى عبد الدار بن قصى، ثم عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم.

إلا أن خديجة رضى الله عنها رأت من رسول الله ﷺ حينما عمل فى تجارتها فى الشام مع غلامها ميسرة من صفات الأمانة والكمال والصدق ما دعاها إلى توقيره وتقديره، فأرسلت إليه تطلب منه الزواج فوافق. وتم الزواج وعاش رسول الله ﷺ مع خديجة منذ كان فى الخامسة والعشرين من عمره وكانت هى فى الأربعين حياة سعيدة أنجب خلالها أبناءه كلهم ـ عدا إبراهيم من مارية القبطية. وقد ظلت خديجة طيلة

زواجها منه ﷺ نعم الزوجة الصالحة الوفية، فقد أعانته على التحنث فى غار حراء قبل نزول الوحى عليه ﷺ فكان يذهب إلى غار حراء شهرا فى السنة يتعبد فيه ومعه زاده، يتفرغ فيه لعبادة ربه. فتركته يتفرغ للعبادة وهيأت له مايعينه عليها ويطرح عن كاهله شواغل الدنيا ومتاعبها لما رأت فيه من بشائر النبوة.

ثم كانت أول من آمن به ﷺ وأول من ثبته على ماجاءه من الوحى وذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع أهل التوارة والإنجيل فبشّرها بأنه نبى هذه الأمة. فرجعت إليه وبشّرته، كما اختبرت الوحى بنفسها، فكانت أول من آمن به وصدقه وآزره وظلت تهوّن عليه أمر الناس وتعضّده حتى أنه ﷺ بشّرها (ببيت من قصب لاصخب فيه ولانصب)[1]. كما أقرأها السلام من ربها على لسان جبريل عليه السلام فقال لها ﷺ (ياخديجة، هذا جبريل يقرؤك السلام من ربك فقالت خديجة رضى الله عنها (الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام) وبذلك نرى أن خديجة (رضى الله عنها) كانت مع رسول الله ﷺ فى جميع مواقفه، وأحاسيسه، وخلجاته، تتحسس طريقه فتمهده له، وتحتويه كالأم الرؤوم والزوج الحنون، فكانت الواحة التى يلوذ بها ويسترح بين ظلالها كلما اعتراه التعب، ويرتشف من مياهها كلما اشتد به الظمأ.

ثم إن خديجة رضى الله عنها قدمت له كل أموالها وكذلك نفسها فجاهدت معه حتى توفيت بمكة وقد أرهقها حصار قريش للمسلمين فى شعب أبى طالب ثلاث سنين وقد أنفقت مالها كله فى سبيل الله وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان عمرها يومئذ الخامسة والستين.

(١) أى بيت من لؤلؤ مفرغ لاضوضاء فيه ولاتعب.

وكانت خديجة رضى الله عنها أول من صلى مع رسول الله ﷺ من الرجال والنساء جميعا، وظلت رضوان الله تعالى عليه وزير صدق له ومستشاره الأمين لذلك كان يكنّ لها حبا كبيراً، وكذلك هى، حتى أنه لم يتزوج عليها طوال حياتها رغم كبر سنها.

وبعد وفاتها هاجر ﷺ إلى المدينة مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومعه أولادها لما لاقاه من قريش من إيذاء كبير بعد وفاتها هى وعمه أبو طالب.

وقد ظل رسول الله ﷺ يذكرها بالخير بعد وفاتها، وحتى توفى هو ﷺ فقد روى عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد).

وكان ﷺ يغضب لأى إشارة تبدر من عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تُعّبر فيها عن غيرتها منها لما يكنّه لها دائما من حب وعرفان وتوقير. فقد روى عن عائشة رضى الله عنها[1] أنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال اللهم هالة، قالت فغرت فقلت: ماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها) فغضب النبى ﷺ ثم قال: (لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى وكفرنى الناس،وصدقتنى وكذبنى الناس، وواستنى فى مالها إذ حرمنى

(١) أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار، باب تزوج النبى ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل خديجة أم المؤمنين.

الناس ورزقنى منها أولاد إذ حرمنى أولاد النساء) قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها أبدا[1].

بيته ﷺ فى المدينة ،مع سائر أمهات المسلمين، :

أما عن بيته ﷺ فى المدينة فكان له مغزى آخر، حيث ترّمل رسول الله ﷺ وسلم بعد وفاة خديجة «رضى الله عنها» فتدخّلت السماء فى زواجه من نساء أصبحن أمهات للمؤمنين، فكان لزواجه بهن مغزى اجتماعى، أو تشريعى أو دينى أو سياسى، وشاهدن إقامة دولة الإسلام فى المدينة ثم جلسن بعد رسول الله ﷺ للفتيا أو لرواية الحديث واشتركن معه فى غزواته وحروبه أو مشاركته بطريق أو بآخر فى الحياة السياسة أو الاجتماعية وفى معرفة مكانه المرأة فى الإسلام من خلال تتبع منهج زوجاته رضوان

(١) انظر ابن هشام السيرة جـ١ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣، ص٢٠٥ ،ص٢٠٦، ٣٧٥ ـ ٣٧٦، جـ٢، ص٢٥ ـ ٢٦ ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٧ ـ ٨، ص ١٠ ـ ١١، ص٣٥، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٢ ص٢٨٠ص ـ ص٢٨١، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩، ص٣٠١، ٣٠٧، جـ٣ ص١٦٠. البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٩٧ ـ ٩٨، ص٣٩٦، ص٤٠٥، ص٤٠٦، مصعب الزبيرى: نسب قريش جـ٧ ص٢٣٠، جـ٩ ص٣٣٣، ابن حزم جمهزة أنساب العرب ص١٦ ،جوامع السيرة ص٣٦ ـ ٣٧ ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٢٧٦ ـ ٢٧٩، ابن الأثير أسد الغابة مج٧ ص٧٨ ـ ٨٥، الكامل فى التاريخ جـ٢ ص١٣ ـ ص١٤، ص١٧، ص١٨ ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٢٧٥، ابن كثير البداية والنهاية جـ٣ ص٢٥، تفسير ابن كثير، النويرى: نهاية الأرب جـ١٦ ص٢٧٩ ـ ٢٩٩، جـ١٨ ص١٧٠، ابن الجوزى: فهوم الأثر ص١٩، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب امهات المؤمنين القاهرة، دار الحديث ص٢٧ـ ٤٨ ابن القيم الجوزيه: زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ١١ ص ٨٨، Muir: The life of Mohammed p. 24-25,-105-106.

عائشة عبد الرحمن: بنات النبى ﷺ، جـ١ ص٤٨ ـ ٥٩، نساء النبى ﷺ، أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٦ ص١٨٦ ـ ١٨٧، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٩٢ ـ ١١٣، محمد حسين هيكل حياة محمد ﷺ. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مج٢. ول. ديورانت: قصة الحضارة مج٤ ص٢ ترجمة محمد بدران ص٢٢ ـ ٢٩.

الله عليهن فى الحياة الدُنيا ومنهج رسول الله ﷺ فى معاملتهن فى كافة المواقف والظروف.

سوده بنت زمعه بن قيس عبد شمس القرشية «رضى الله عنها»:

بدأ رسول الله ﷺ فى بناء بيته قبل الهجرة إلى المدينة بزواجه من سوده بنت زمعه وأمها أنصارية من بنى النجار هى الشموس بنت قيس الأنصارية. تزوجت سودة قبل رسول الله ﷺ من ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، حيث أسلما بمكة وهاجرا معا إلى أرض الحبشة، ثم عادا إلى مكة حيث توفى زوجها ولم يعقب.

وقد خطبها رسول الله ﷺ مع عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما وكانت عائشة ما زالت فى سن الطفولة، فلم يدخل بها، ودخل بسوده قبل الهجرة فى رمضان عام ١٠ من النبوة، وكانت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون هى التى خطبتهما له.

أما عن سبب زواجه ﷺ بها، فقد كان أهلها على الكفر حينما توفى زوجها، فخشى ﷺ أن يفتنوها فى دينها، هاجرت سوده مع بنات رسول الله ﷺ إلى المدينة ـ عدا زينب التى ظلّت مع زوجها ـ وظلّت سوده فى بيت النبوة وقد انفردت برسول الله ﷺ ثلاثة أعوام، فلما أسنّت خافت أن يفارقها ﷺ فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها.

وقد ذكر أنها نزلت فيها آية من سورة النساء[1] وهى قوله تعالى: ﴿ **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير** ﴾.

(١) آية ١٢٨ (سورة النساء انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية،وانظر أيضا صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يوما من زوجها لضرتها).

وقد توفيت سوده فى شوال عام ٥٤ من الهجرة فى المدينة فى خلافة معاوية وقيل فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه(١).

عائشة «رضى الله عنها» بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو من بنى كعب بن لؤى:

وتكنى أم «عبد الله» وهو ابن أختها أسماء، وأكبر أولاد الزبير بن العوام.

أمها أم رومان بنت عمير بن دهمان من بنى مالك بن كناته. تزوجها رسول ﷺ بأمر من الله على لسان جبريل عليه السلام حيث قال لها ﷺ: (أُريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى سرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هى أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه)(٢).

تزوج رسول الله ﷺ عائشة وهى فى السادسة أو السابعة من عمرها بمكة، ودخل بها بالمدينة بعد الهجرة بثمانية أشهر أو أكثر وهى ابنة تسع سنين، وتوفى عنها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، وتصف عائشة زفافها من رسول الله ﷺ بقولها: (.. فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، فاجتمع

(١) انظر ابن هشام: السيرة جـ٤ ص ٣٢٢، الواقدى: المغازى جـ١ ص١١٨، جـ٣ ص١١٠٦، ص١١١٥، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٣٥ ـ ص٣٩. البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٠٧، ٤٠٩، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٢ ص٤٠٠، جـ٣ ص١٦٢، ابن حزم: جوامع السيرة ص٢٦، ص٥٠ ـ ٥٣، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣١٧، ص٣١٨، ابنالأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٥٧، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص١٦٧، ابن الأثير: الكامل جـ٢ ص٤٦، ابن حجر الإصابة جـ٤ ص٣٣٠ ـ ٣٣١، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٧٣، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص١٦١ ـ ١٦٧، الذهبى الكاشف جـ٣ ص ٤٧٣، زينب فواز: الدر المنثور ص٢٥٢ ـ ٢٥٣. Muir: The life of Mohammed p.133

(٢) أخرجه صحيح البخارى ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم عائشة وقدومها، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ـ باب فى فضل عائشة رضى الله عنها، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين لمحب الدين الطبرى ص٥٣ ـ ٥٤.

إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتنى أمى وأنا في أرجوحة بين عرقين يرجح بى فأنزلتنى ثم وقفت بى عند الباب حتى ذهب بعض نفسى ثم أدخلتنى ورسول الله ﷺ جالس على سرير فى بيتنا فأجلستنى فى حجره فقالت هؤلاء أهل بيتك فبارك الله فيهم وبارك لهن فيك، ووثب القوم والنساء فخرجوا فبنى رسول الله ﷺ فى بيتى مانحرت جزور ولا ذبحت علىّ شاه وأنا يومئذ إبنة تسع سنين حتى أرسل إلينا سعد بن عباده بجفنه كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ(١).

وقد انتقلت السيدة عائشة رضى الله عنها إلى بيتها الجديد، وهو عبارة عن حجرة من الحجرات التى شيدت حول المسجد من اللبن وسعف النخيل، وكان فراشها من أدم(٢) حشوه ليف وليس بينه وبين الأرض سوى الحصير، وكان بيتها الذى بناه رسول الله ﷺ بجانب المسجد النبوى، وجعل له بابا فى المسجد تجاه بيتها.

ونظرا لصغر سنها حين تزوجت فقد تركها رسول الله ﷺ تتمتع فترة بطفولتها واحترم صغر سنها، فكانت تلعب بعرائسها، ولها صاحبات يلعبن معها، يدخلهن رسول الله ﷺ بنفسه لها.

وقد تمتعت عائشة رضى الله عنها بمنزله خاصة عند رسول الله ﷺ لم تتمتع بها امرأة من زوجات رسول الله ﷺ إلا خديجة رضى الله عنها. ونحن نجد مظهر ذلك الحب من خلال حوار رسول الله ﷺ مع عائشة ومن روايات عائشة رضى الله عنها نفسها، ومن روايات أزواج رسول الله ﷺ وصحابته «رضى الله عنهم».

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) جـ٣ ص١٦٣، انظر أيضا على برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية جـ٢ ص١٦١.

(٢) الأدم: هو الجلد.

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ياعائشة حبك فى قلبى كالعروة الوثقى..) وكانت رضى الله عنها تسأله من آن لآخر كيف حال العروة يارسول الله: فيقول لها: إنها على حالها لم تتغير ولم تتبدل.

وكانت السيدة عائشة تشعر بهذا الحب، وتعلم مكانتها عند رسول الله ﷺ عليه وسلم فتقول فى حديث لها: (ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكانة وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى) وكانت زوجات رسول الله ﷺ يعلمن بهذه المكانة، لذلك وهبت سوده يومها لعائشة دون سواها(١).

كذلك كان الناس يتحرون يوم عائشة لإهداء الرسول ﷺ الهدايا يبتغون بها مرضاة رسول الله ﷺ(٢). وقد حاولت نساؤه أن يجعلن أم سلمة واسطة لدى رسول الله ﷺ في ذلك ليأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، فأعرض رسول الله ﷺ عنها ثم قال لها: (ياأم سلمة لاتؤذينى فى عائشة فإنه والله مانزل علىّ الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها).

وقد كانت لعائشة فضائل عديدة كما ذكرت فى حديثها، بلغت عشر فضائل على نساء النبى ﷺ فقالت رضى الله عنها:(٣).

(فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر، قيل ماهى ياأم المؤمنين؟ قالت: لم

(١) عن حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة وتفصيل ذلك انظر: محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين من ص٥٩ ـ ص٦٦. وانظر أيضا حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص١٣٧. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)، انظر صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضى الله عنها، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها. كما أخرجه الإمام أنس فى مسنده ٣ / ١٥٦، ٢٦٤.

(٢) انظر صحيح البخارى: كتاب الهبة، باب قبول الهدية، وصحيح مسلم كتاب فضائل عائشة رضى الله عنها وأيضاً اللؤلؤ والمرجان، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة.

(٣) طبقات ابن سعد جـ٨ ص٤٣ ـ ٤٤، محب: الطبرى السمط الثمين ص٩ ـ ٧٠، اسد الغابة لابن الأثير مج٧ ص١٩٠.

ينكح بكرا قط غيرى، ولم تنكح امرأة أبواها مهاجران غيرى، وأنزل الله تعالى عز وجل براءتى من السماء،وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة، وقال تزوجها فإنها امرأتك، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيرى، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى ولم ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيرى. وقبض الله نفسه وهو بين سحرى ونحرى، ومات فى الليلة التى يدور علىّ فيها، ودفن فى بيتى).

وكان ﷺ يدللها لحبه لها ولصغر سنها، فقد ورد عنها رضى الله عنها حديث رسول الله قالت: (قال لى رسول الله ﷺ إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية،وإذا كنت علىّ غضبى) قالت فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عنّى راضية فإنك تقولين: لاو رب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم: قالت، قلت: أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك)(١).

إلا أن هذا الإيثار القلبى والنفسى لم يمنع رسول ﷺ أن يقسّم بالعدل بين زوجاته، فكان يقسم بينهن بالعدل فى الطواف والمبيت والنفقة، أما ميله القلبى فكان كما قال: (اللهم هذا قسمى فيما أملك فلاتلمنى فيما لاأملك)(٢).

وممن أوصى به رسول الله ﷺ أيضا: (من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفى رواية ولم يعدل بينهما ـ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل)(٣).

---

(١) انظرالبخارى: كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن،وانظر أيضا مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

(٢) انظر تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى: ﴿والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما﴾ آية ٥١ من سورة الأحزاب، وحديث عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) أخرجه أصحاب السنن الأربعة وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) انظر ماذكره الامام محمد عبده عند هذا الموضوع فى كتاب الإسلام والمرأة د. محمد عمارة. وانظر أيضاً: المرأة فى الإسلام «دراسة مقارنة» للمؤلفة ص٧٤ ـ ٧٥ ط دار الفكر العربى وأيضاً: المرأة تنظيم الأسرة فى الإسلام للمؤلفة ص٢٥، ٢٦. ط دار الفكر العربى.

رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ بقوله: (جاء يوم القيامة وشقه ساقط)[1].

كذلك كان رسول الله ﷺ إذا سافر فى غزوة من الغزوات أو غيرها يقرع بين نسائه فتسافر من فازت فى القرعة وتمكث الباقيات فى بيوتهن تحريا للعدل[2].

ورغم ذلك فقد ظلت عائشة دائمة الغيرة على رسول الله ﷺ بعد زواجه من الآخريات حتى أنها سألته حينما عاد من بيت «أم سلمة» يوم ما قائلة: (ماتشبع من أم سلمة؟ قالت: فتبسم. فقلت: يارسول الله ألا تخبرنى عنك لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت أيهما كنت ترعى؟ قال: التى لم ترع. قلت: فأنا ليس كأحد من نسائك، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل غيرك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ).

ولما كانت عائشة رضى الله عنها لم تنجب وأرادت إشباع أمومتها فقد أنزلت ابن اختها أسماء وهو (عبد الله بن الزبير بن العوام) بمنزلة الابن وكانت تكنّى به فيقال (أم عبد الله) كذلك ابن أخيها عبد الله واسمه (القاسم).

إلا أن عائشة رضى الله تعالى عنها ابتليت بمحنة الإفك التى أفاضت علينا المصادر والمراجع فى ذكرها، حيث خاض المنافقون فى ذلك، واتهموها مع صحابى جليل هو صفوان بن المعطل السلمى، وكان رسول الله ﷺ عائدا

(١) أخرجه الترمذى كتاب النكاح باب ما جاء فى التسوية بين الضرائر حديث رقم (١١٤) والنسائى كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، وابن ماجة كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء حديث رقم (١٩٦٩).

(٢) انظر صحيح البخارى: كتاب النكاح باب القرعة بين النساء، إن أراد سفرا، وانظر أيضا صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

من سفره من غزوة بنى المصطلق وذهبت لقضاء حاجتها فانفرط عقد لها، فخرجت تبحث عنه، وقد أمر النبى ﷺ أن تقوم القافلة، فقامت القافلة وهى غير موجودة فى هودجها، فلما عادت إلى مكانهم لم تجدهم فانتظرتهم فى مكانها عسى إن افتقدوها أن يرجعوا إليها. فمر بها صفوان بن المعطل السلمى، وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس فى عسكرهم،فلما رآها وهى متلففة بجلبابها عرفها فحملها على بعيره وانطلق بها مسرعا، حيث أوصلها إلى القافلة فى الصباح. فقال أهل الإفك ماقالوا فيهما، وانتشرت الشائعة فى القافلة ثم عادوا إلى المدينة.

وما لبثت عائشة أن مرضت وقد وصلت الشائعة إلى رسول الله ﷺ وقال أبويها فلم يذكروا لها شيئا، ولم يؤذها رسول الله ﷺ بكلمة رغم ماسمعه عنها سوى موقفه من مرضها، فقد قالت عائشة عنه ﷺ (.. ألا إنى أنكرت على رسول بعض لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى، فلم يفعل ذلك فى شكواى تلك فأنكرت منه. وكان إذا دخل علىّ وأمى تمرضنى قال: كيف كنتم ولايزيد على ذلك. قالت حتى وجدت فى نفسى مما رأيت من جفائه عنى. فقلت له يارسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرضتنى. قال: لاعليك، قالت: فانتقلت إلى أمى ولاأعلم بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة).

هذا هو كل ما أخذته عائشة «رضى الله عنها» على رسول الله ﷺ وهو رجل طعن فى شرفه، وسمع ماسمع عنها، فلم يتصرف معها بشىء خدش حياءها سوى ماذكرت.

هكذا كان موقف الزوج العاقل فلم يتهمها أو يسىء إليها دون دليل حاسم. ثم ذكرت عائشة كيف أنها علمت بما يدور حولها من أقاويل، فبكت حتى أحست أن كبدها سيتصدع وشكت لأمها حزنها.

فلما دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها أبواها، وهى تبكى، جلس ﷺ وحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها على رواية عائشة: (ياعائشة إنه قد كان مابلغك من قول الناس فاتق الله وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فوا الله ماهو إلا أن قال ذلك حتى تقلص دمعى ما أحس منه شيئا وانتظرت أبوى يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت: وأيم الله لأنا أحقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن ينزل الله عز وجل فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ويعمل به، ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومة شيئا يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى أو يخبر خبرا.. فوالله مابرح رسول الله ﷺ ماكان يتغشاه.. ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس.. فجعل يمسح العرق من جبينه ويقول: (أبشرى يا عائشة قد أنزل الله براءتك قالت: فقلت بحمد الله وذمكم ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من قرآن فى[1] ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسّان بن ثابت وحمنه بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم) أى أقيم عليهم حد قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وقد عقب أستاذنا الجليل عباس محمود العقاد على هذا الحادث وموقف رسول الله ﷺ منه بقوله: (تلك هى القصة التى تعرف بقصة الإفك كما روتها السيدة عائشة رضى الله عنها وهى مسبار صادق يسبر لنا أغوار المروءة والرفق فى معاملة النبى ﷺ لزوجاته، حيث لا رفق ولامروءة عند الأكثرين.. فلم يكن فى هذه الحالة إلا كرما خالصا بما سلك فى أمر نفسه وفى أمر أهله وفى أمر دينه.. فكما أنه شمل بعفوه جميع المسيئين فى هذا الحديث، فإنها أيضا كشفت عن أطيب معاملة

(١) انظر سورة النور / آية ٢٣ ومابعدها، وانظر أيضا حديث الإفك فى ابن هشام: السيرة جـ٣ ص٣٤١ ـ ص٣٥٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص١٦٠ ـ ١٦٤، الطبرى جـ٢ ص ٦١٠ ـ ٦١٩.

الزوجات فى أحرج الحالات.. فإن عظمة الرجل أتاحت له أن يعطى الدعوة حقها والمرأة حقها)[1]. وقد ازدادت مكانة السيدة عائشة رضى الله عنها عند رسول الله ﷺ بعد مانزل فيها من الآيات البينات، التى شهدت لها بالطهر والنقاء من فوق سبع سموات.

كذلك نزلت فى عائشة أيضا الرخصة بالتيمم. عندما أذن الصباح وليس مع المسلمين ماء، وكانوا قد قضوا الليل يبحثون عن قلادة لها حتى وجدوها فى الصباح.

وفى السيرة أن الرسول ﷺ عندما خرج غازيا خيبر فى جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ـ أى بعد عام تقريبا من محنة الإفك ـ اتخذ رايته الأولى من برد لزوجته عائشة تدعى العقاب. كما ورد عن عمرو بن العاص (أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل ـ قال: فأتيته فقلت: يارسول الله أى الناس أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قلت: ومن الرجال؟ قال أبوها)[2].

ورغم ازدياد محبة رسول الله ﷺ لعائشة إلا أنها كانت دائمة الغيرة وكانت تقول له (ومالى ألا يغار مثلى على مثلك).

وعندما مرض رسول الله ﷺ مرض الوفاة استأذن نساءه فى أن يُمرّض عند عائشة فأذنّ له أن يكون حيث شاء، فمات فى بيتها. تقول رضى الله عنها (فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسحرى)[3] بعد أن تسوك بسواك تسوكت هى به.

---

(١) عبقرية محمد ص١١٠ ـ ١١٤.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى، أبواب، المناقب، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها.

(٣) انظر صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة رضى الله عنها والنحر: هو أعلى الصدر موضع القلادة، والسحر: الرئة وقيل السحر ما لصق بالحلقوم.

هذا وقد أشار أستاذنا الفاضل الإمام محمد عبده إلى أهمية العدل بين الأزواج حتى فى هذه اللحظة فقد ذكر أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا لايأتون حجره إحدى الزوجات فى نوبه الأخرى إلا بإذنها حتى أن النبى ﷺ كان يطاف به وهو فى حالة المرض على بيوت زوجاته محمولا على الأكتاف حفظا للعدل، ولم يرض الاقامة ببيت إحداهن خاصة، فلما كان عند إحدى نسائه سأل فى أى بيت أكون غدا؟ فعلم نساؤه أنه يسأل عن نوبة عائشة فأذنّ له فى المقام عندها مده المرض، فقال: (هل رضيتن؟ فقلن: نعم) فلم يقم فى بيت عائشة حتى علم رضاهن. وهذا الواجب الذى حافظ عليه النبى ﷺ هو الذى ينطبق على نصائحه ووصاياه..

فقد كانت آخر وصاياه (الصلاة الصلاة ومامَلكت يمينكم..) والعدل بين الزوجات[1].

هذا وقد ظلت عائشة رضى الله عنها بعد رسول الله ﷺ المرجع الأول للسُنّة والحديث والفقه. يأخذ المسلمون عنها نصف دينهم كما أمرهم رسول الله ﷺ، فكانت رضى الله عنها أفقه نسائه على الإطلاق، كما روت عنه ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكأنما أراد الله تعالى أن تعيش بعد رسول الله ﷺ عمرا مديدا يمتد قرابة خمسين عاما تنثر فيها نفحات النبوة، وتجلس للفتيا لصحابته والتابعين من بعدهم لعلمها الغزير بالأحاديث والسيرة العطرة، والقرآن الكريم وتفسيره. فتركت أعمق الأثر فى الحياة الفقهية وكذلك الحياة السياسية والاجتماعية، كما شاركت فى الفتنة الكبرى التى صنعت التاريخ الاسلامى منذ مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقادت الجيوش مع الزبير بن العوام وطلحة لمحاربة

(١) الاسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده .د. محمد عماره ص١٣٥، طـ القاهرة، دار المستقبل ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

على بن أبى طالب عام ٣٦هـ / ٦٥٦م، ثم اعادها على رضى الله عنه بعد هزيمتها معهم معززة مكرمة إلى المدينة حيث توفيت ليلة السابع عشر من رمضان عام ثمانية وخمسين من الهجرة ودفنت بالبقيع ليلا وقد ناهزت السادسة والستين من عمرها(١).

حفصة بنت عمر بن الخطاب «رضى الله عنهما»:

وأمها زينب بنت مطعون بن حبيب، وهى شقيقة عبد الله بن عمر ابن

(٢) انظر: ابن هشام السيرة جـ٣ ص٣٤١ ـ ٣٥٣ (حديث الإفك)، جـ٤ ص٣٢١ ـ ٣٣٤، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٣٩ ـ ص٥٦، الواقدى المغازى جـ١، جـ٢، جـ٣، مصعب الزبيرى: نسب قريش جـ٧ ص٢٣٧، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٣٤٢ ـ ص٣٤٣، ص٤٠٩ ـ ص٤١٠، ص٤١٥ ـ ٤١٨، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٢ ص٣٣٩، ص٦١٠ ـ ص٦١٩، جـ٣ ص١١٩، ص١٦٢ ـ س١٦٤، ابن حزم: جوامع السيرة ص٢٦ ـ ص٢٧، الإحكام فى أصول الأحكام مج ٢ طـ بيروت ص ٨٦ ـ ص٩٠، الاصبهانى، أبو نعيم: حليه الأولياء جـ٢ ص٤٣، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٤٥ ـ ص٣٥٠، ابن القيم: زاد المعاد ص٨٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٨٨ ـ ص١٩٢، الكامل فى التاريخ جـ٢ ص٧٥، ابن حجر: الإصابة جـ٤ ص٣٤٨ ـ ص٣٥٠، مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٣ ص١٥٦، ص٢٦٤، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص١٦٤، تفسير ابن كثير، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٧٦، ابن الجوزى: فهوم الأثر ص٤٠، صحيح البخارى: كتاب فضائل أصحاب النبى (ص) باب فضل عائشة رضى الله عنها، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص٥٠ ـ ١٢٢، تحفة الأحوذى: أبواب المناقب، باب من فضل عائشة رضى الله عنها الحديث رقم (٣٩٦٧: ١٠ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص١١٠ ـ ١١٤، أميل درمنغم: حياة محمد ص٧٧، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص٩٧ ـ ٩٩، محمد جمال القاسمى: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث طـ بيروت، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية Muir, Sir William: The life of Mohammed P. 299 - 305.(عن حديث الإفك) (وعن موقعة الجمل عام ٣٦ هـ / ٦٥٦م)
انظر: Muir: The Caliphate, P. 240 - 252.

الخطاب. ولدت حفصة قبل بعثة رسول الله ﷺ بالنبوة بخمس سنين، ثم تزوجت من خنيس بن حذافة السهمى، وكان من مهاجرى الحبشة، وهاجرت معه إلى المدينة ثم توفى عنها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها بعد أن عاد النبى ﷺ من غزوة بدر سنة اثنتين من الهجرة وقيل كان خنيس بدريا قتل عنها يوم أحد سنة ٣ هـ ولم تنجب منه.

فلما تأيمت حفصه، عرض عمر رضى الله عنه على كل من أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان الزواج منها، فلما لم يجد منهما القبول اشتكى إلى رسول الله ﷺ، وكانت رقية ابنة رسول الله ﷺ قد توفيت أيضا فقال له النبى ﷺ (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصه)[1] فأكرم رسول الله عمر بزواجه من حفصه كما أكرم أبا بكر من قبل بزواجه من عائشة. وكان زواجه ﷺ من حفصه سنة اثنتين، وقيل ثلاث من الهجرة والأول أرجح عند العلماء وأصدقها أربعمائة درهم.

جاءت حفصة إلى بيت رسول الله ﷺ وفى البيت سوده، وعائشة، وقد اتخذت عائشة موقفا من العروس الجديدة إلا أنهما مالبثتا أن اتحدتا أمام الضرائر الجدد، واشتركا فى عدة حيل طريفة ضد نسائه الأخريات، خاصة من كنّ على مستوى مرتفع من الجمال.

فعندما تزوج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش بعد أن عاتبته فيها السماء حتى قالت عائشة فى غيرة وغضب له (ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك). وحتى تصرف رسول الله ﷺ عن المكوث عند زينب الفترات الطويلة التى كان يقضيها هناك، تحايلت مع حفصة وسودة فى القول له

(١) يقصد بذلك زواج عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

عندما يخرج من عندها بأن رائحة المغافير ـ وهى ثمرة كريهة الرائحة ـ وكأنه ﷺ قد أكل منها[1].

وقد كان ﷺ إذا صلى العصر مرّ على نسائه فيمكث عند كل واحدة وقتا يسيرا للإيناس وذهاب الوحشة، ولكنه دخل عند زينب بنت جحش فشرب عسلا كان قد أهدى لها من أهلها، وفعل ذلك عدة مرات، فاتفق نساء الرسول على أن تقول كل واحدة منهن إنى أجد منك ريح المغافير.. وكان صلى ﷺ يحب الريح الطيب ويكره أن يأكل الطعام الذى يسبب رائحة كريهة، لذلك حرّم على نفسه أكل العسل فنزل قوله تعالى:

﴿ يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾[2].

أما الحادث الذى كاد بسببه أن يطلق النبى ﷺ حفصه ـ أو طلقت فيه ـ فهو أن حفصة وجدت رسول الله ﷺ فى خلوه مع مارية القبطية فى بيتها ـ أى بيت حفصة ـ وكانت مارية قد ذهبت إلى رسول الله ﷺ فيه

(١) هذا ماذكره فضيلة الشيخ د. محمد الطيب النجار فى كتابه دراسات فى السيرة النبوية ص٣٠٩ ومابعدها إلا أن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن حفصة هى التى كانت تقدم العسل بنفسها للنبى ﷺ، بينما ذكرت بعض المراجع الأخرى أن التى كانت تقدم العسل للنبى ﷺ هى أم سلمة. أنظر: طبقات ابن سعد جـ٨ ص٧٦ (ترجمة زينب بنت جحش).

(٢) التحريم / آية ١، أشار إلى ذلك د. الطيب النجار فى المصدر السابق ص٣١٧ (دراسات فى السيرة النبوية) ولكن سياق الآية التالية لها يشير إلى أن التحريم كان بخصوص مارية القبطية (انظر ترجمتها فيما بعد). وقد اختلفت التفسيرات فى ذلك مابين أن التحريم من أكل العسل أو مارية القبطية ـ وهو الغالب ـ إلا أن تفسير ابن كثير فى ذلك عند هذه الآية يرجح الرأى القائل بأن التحريم كان فى مارية القبطية عندما وجدته حفصه معها فى بيتها. انظر ما ذكرناه عند هذا الموضوع فى (محمد الزوج) وتفسير ابن كثير عند هذه الآية. كذلك صحيح البخارى عند تفسيره لهذه الآية.

لشأن لها، وكانت حفصة تزور أباها، فلما رجعت ورأتهما فى بيتها والستر مسدل مكثت حتى انصرفت مارية فدخلت حفصة على رسول الله ﷺ باكية مقهورة ولم تهدأ حتى حرّمها رسول الله ﷺ على نفسه، وأوصى حفصه بكتمان ما حدث.

إلا أن حفصة أفشت السر لعائشة التى اندفعت تستثير ضرائرها ـ وكُنّ جميعا فى غيرة من مارية لحملها من رسول الله ﷺ ـ فانضممن إلى عائشة. وترفق رسول الله ﷺ بهن ما استطاع، لكنهن تمادين فى اللجاج إلى حد الشطط فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن اعتزلهن جميعا فى صرامة لم يألفنها من قبل. ثم شكون من قلة النفقة والزينة واجتمعن كلهن على الشكوى واشتددن فيها حتى وجم النبى وهمّ بتسريحهن أو تخييرهن بين الصبر على معيشتهن معه أو التسريح. ودخل كل من أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما على رسول الله ﷺ وكانت نساؤه حوله، وحاولا أن يقوما كل من عائشة، وحفصه ويقولان: تسألن رسول الله ماليس عنده؟ فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعة وعشرين يوما.

وسرى الهمس بين المسلمين أن النبى ﷺ طلق زوجاته، وظلت المتظاهرات فى بيت النبى حزينات نادمات، وأوى النبى ﷺ إلى خزانة له ذات مشربة يصعد إليها على جزع خشب من جذوع النخل ويجلس غلامه رباح على عتبتها ما أقام بها ﷺ.

ودخل عمر بن الخطاب عليه الخزانة بعد استئذانه عدة مرات ثم أذن له، وبكى عندما رأى آثار الحصير فى جنبه ورأى قبضة من الشعير وأخرى من القرظ بجواره ثم قال لرسول الله ﷺ: يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء؟ إن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل

وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. فرد عليه النبى ﷺ رّداً فهم منه أنه لم يطلقهن ولكنه اعتزلهن شهرا. ففرح بذلك عمر وأعلن فى المسجد أن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه.

ثم نزل الوحى على رسول الله ﷺ بالآية الكريمة من سورة الأحزاب بعد اعتزاله نسائه شهرا يقول الله تعالى فيها ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزيتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا.وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾[1].

ثم خيَّر رسول الله ﷺ نساءه كلهن بين الحياة معه وبين تسريحهن بعد أن تلا عليهن الآية، فأجبن كلهن بتفضيل العيش معه على متاع الحياة الدنيا. ثم عاتبته عائشة قائلة عندما دخل بيتها: (بأبى أنت وأمى يانبى الله، قلت كلمة لم ألق لها بالا فغضبت علىّ) ثم قالت مداعبة: (أقسمت أن تهجرنا شهرا ولم يمض منه سوى تسع وعشرين) فابتسم رسول الله ﷺ قائلا ـ وقد سرّه أنها كانت تحصى الليالى ـ بأن شهرها ذاك تسع وعشرون ليلة. وبذلك نجد أن محمد ﷺ الزوج كان لينّا مع أزواجه فى مواقف اللين، قويا حاسما فى المواقف التى تستوجب القوة والحسم.

هذا وقد كان زواج الرسول ﷺ بحفصة تكريما لعمر حتى أن عمر قال لابنته ذات يوم (والله لقد علمت أن رسول الله لايحبك ولولا أنا لطلقك) فقد كرّم رسول الله ﷺ بجعل ابنته إحدى أمهات المؤمنين[2].

ويقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية من سورة التحريم: (ومما يدل

(١) سورة الأحزاب / اية ٢٨، ٢٩.

(٢) انظرتفسير ابن كثير عند هذه الاية، وكذلك تفسير البخارى عندها فى صحيحه.

على أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان، الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ فذكر عمر بن الخطاب أنهما عائشة وحفصه(١).

وقد اختلفت الروايات فى حفصه على وجه الخصوص، فقيل إن النبى ﷺ قد طلقها طلقة واحدة ثم ارتجعها، وهذا الارتجاع تختلف فيه الروايات، فتذهب رواية إلى أن ذلك كان رحمة بعمر الذى حثا التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بأمر الله بأن يرجعها رسول الله ﷺ وفى رواية أخرى أن جبريل قال للرسول ﷺ (ارجع حفصة فإنها صوامة وقوامة وإنها زوجتك فى الجنة).

ورغم أُميّة رسول الله ﷺ فإنه أمر امرأة من بنى عدى تسمى الشفاء بنت عبد الله أن تعلّم حفصة الكتابة، وكذا رقية النملة مما يدل على اتساع أُفقه ﷺ وحرصه على تعليم المرأة. وظلت حفصه فى بيت رسول الله ﷺ حتى لحق بالرفيق الأعلى، لاتسبب له مايكرهه، فكانت هى التى حفظت النسخة الخطية للقرآن الكريم، وظلت فى مأمن عندها حتى أخذها عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خلافته، ونسخ منها النسخ التى وزعت على الأمصار.

توفيت حفصة رضى الله عنها سنة خمس وأربعين، وقيل إحدى وأربعين من الهجرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وقد ناهزت الستين

(١) انظر تفسير ابن كثير عند صدر سورة التحريم، وأيضا صحيح البخارى عند نفس الآية.

عاما، ودفنت بالمدينة المنورة. وكانت من راويات الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنها، وأحاديثها فى كتب السنن الأربعة، كما جلست للفتيا مع أمهات المؤمنين جميعا(١).

زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية (أم المساكين) ،رضى الله عنها،:

وقد أطلقت عليها هذه الكنية قبل الإسلام لأنها كانت تُطعم المساكين وتتصدق عليهم، وقد ذكر ابن عبد البر أنها أخت ميمونة (أم المؤمنين) لأمها(٢).

تزوجت زينب من الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم طُلّقت منه، فتزوجها أخوه أبو عبيدة بن الحارث الذى استشهد بأحد (وقيل) كانت متزوجة من عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد. ثم

(١) ابن هشام: السيرة جـ٤ ص٣٢٣، الواقدى المغازى جـ٢ ص٧٠٨، ص٧٠٩، ص٧١٩، جـ٣ ص١٠٩٢، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٥٦ ـ ٦٠، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٣ ص١٦٤، الأصبهانى، أبو نعيم: حلية الأولياء جـ٢ ص٥٠، ص٥١، المنتخب من ذيول الطبرى ص٦٠٣، ابن حزم: جوامع السيرة ص٦٨، جمهرة أنساب العرب ص١٥٢، الإحكام فى أصول الأحكام مج٢ ص٨٦ ـ ٩٠، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٢١٤ ـ ٢١٥، ص٤٢٦ ـ ص٤٢٧، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٢٦٠ ـ ٢٦٢، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٦٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص٦٦ ـ ص٦٧، ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٢٦٤ ـ ص٢٦٥، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٧٦ ـ ١٧٨، ابن قتيبة: المعارف ص١٣٥، ابن الجوزى: تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢٠ ـ ٢١، عائشة عبد الرحمن نساء النبى ص٨٦ ـ ١١٦، محمد الطيب النجار: دراسات فى السيرة النبوية ص٣٠٩ ـ ٣١٧، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص١١٦، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص١٢٥ ـ ١٣٠. Muir, Sir William: The life of Mohammed p. 427-428. (عن موقف حفصه ومارية وتظاهر نسائه ﷺ)

(٢) إلا أنه ذكر ذلك (نقلا عن الجرجانى) وقال (ولم أر ذلك لغيره) الاستيعاب جـ٤ ص٣٠٦.

تزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا[1] وكان ذلك فى رمضان بعد واحد وثلاثين شهرا من الهجرة.

ظلت زينب رضى الله عنها فى بيت النبوة ثمانية أشهر، ثم توفيت فى ربيع الآخر بعد تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، وصلى عليها رسول ﷺ .

ولم يتوف فى حياة رسول الله ﷺ سوى خديجة، وزينب، من أزواجه وفى ريحانة خلاف[2].

أم سلمة هند بنت أبى أمية (واسمه) سهيل زاد الركب بن المغيرة المخزومية القرشية ،رضى الله عنها،.

كان أبوها أحد أجواد قريش ولذا سمى (زاد الركب)، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعه الكنانية. تزوجت أم سلمة من أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ابن عمة رسول الله ﷺ بره بنت عبد المطلب، وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة.

هاجرت أم سلمة مع زوجها إلى أرض الحبشة، الهجرتين الأولى والثانية، وأنجبت له هناك: سلمة وعمر ودره وزينب ثم عادوا إلى مكة وهاجروا إلى المدينة. ويقال عنها إنها (أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة)[3] وقيل: بل هى ليلى بنت أبى حثمه.

---

(١) النشى: هو نصف كل شىء. والنشى هو نصف الأوقية ومقداره عشرون درهما. انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية جـ٢ ص٩٣٠.

(٢) ابن هشام: السيرة جـ٤ ص٣٢٥، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٨٢، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٢٩، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٣ ص١٦٧ ـ ص١٦٨، المنتخب ص٥٩٥ ـ ٥٩٦، ابن حزم: جمهزة أنساب العرب ص٨٧٣ ـ ص٨٧٤، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٠٥، ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٣٠٩ ـ ص٣١٠، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٧٨، ابن الجوزى: تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢٢، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص١٨٥ ـ ١٨٦،

(٣) الظعينة هى الزوجة، وقد ذكرت أيضا بمعنى الراحلة يرتحل عليها. انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية.

عانت أم سلمة الكثير فى هجرتها إلى المدينة، ثم استشهد أبو سلمة فى أحد عام ٤ من الهجرة، فلما استشهد تذكرت أم سلمة حديث رسول الله ﷺ وهو (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وانا إليه راجعون اللهم إنى عندك احتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها ماهو خير منها) فذكرت الحديث ثم قالت: (من هو خير من أبى سلمه؟). فلما انقضت عدتها خطبها رسول الله ﷺ فقالت لرسوله: (مرحبا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله انى أمرأة غيرى وأنى مصبية وأنه ليس أحد من أوليائى شاهد). فأرسل إليها رسول ﷺ يقول: (أما قولك إنى مصبية فإن الله سيكفيك وصبيانك وأما قولك أنى غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهدا ولاغائبا إلا سيرضانى). فقالت: (ياعمر قم فزوّج رسول الله)[1].

تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة فى شوال من العام الرابع من الهجرة وأصدقها ﷺ (فراشا حشوه ليف، وقدحا، وصحيفة، ومجشة)[2] وابتنى بها ﷺ فى بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمه، فوجد فيها جره فيها شيء من شعير، وبرمه، وسمن فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وأهله ليلة عرسه.

وقد ذكر أن رسول الله ﷺ قال لها: (لك عندنا قطيفه تلبسينها فى الشتاء وتفرشينها فى الصيف، ووساده من أدم[3] حشوها ليف ورحيان تطحنين بهما، وجرّتان فى إحداهما ماء وفي الأخرى دقيق، وجفنه تعجنين وتثردين فيها) فقالت رضى الله عنها، (رضيت) فكان ذلك مهرها. فإلى أى مدى كانت بساطة الحياة فى بيوت رسول الله ﷺ.

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ٨ ص٦٢.

(٢) المجش: آلة الجش من رحى وغيره والجمع مجاش وجش الحب: جرشه فهو مجشوش.

(٣) الأدم: هو الجلد: انظر المعجم الوسيط جـ١ ص١٠.

وقد ذكر ابن سعد أن رسول ﷺ ظل يزور أم سلمة دون أن يدخل عليها احتراما لها ولابنتها زينب بنت أبى سلمة التى كانت ترضعها حتى جاء عمّار بن ياسر فذهب بها واسترضعها بقباء فلما علم رسول الله ﷺ بذلك دخل على أم سلمة[1] وقد كان لأم سلمة رضى الله عنها منزلة ومكانه عند رسول الله ﷺ. وكانت على قدر كبير من الجمال حتى أن عائشة أم المؤمنين كانت تغار منها. فقد روى عن هند بنت الحارث الفراسية قالت: (قال رسول الله ﷺ أن لعائشة منى شعبة مانزلها منى أحد، فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقيل: يارسول الله مافعلت الشعبة؟ فسكت رسول الله فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده)[2].

وقد كان رسول الله ﷺ يقدّرها ويستشيرها، فعندما ذهب ﷺ إلى مكة فى العام السادس من الهجرة، وهو العام الذى صدّته فيه قريش والمسلمين عن زيارة المسجد الحرام، وكان ﷺ معتمرا هو والمسلمون. وتم الصلح بين قريش ورسول الله ﷺ على أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون أن يعتمروا ثم يعودوا فى العام التالى ويسمح لهم بزيارة الحرم المكى. فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنحر والحلق، إلا أن المسلمين لم يحركوا ساكنا ولم يحلوا إحرامهم، وقد أحزنهم أنهم لم يعتمروا. وهنا كان لأم سلمة دور جليل فى هدنة الحديبية لم ينساه التاريخ لها حيث استمع الرسول ﷺ إلى مشورتها فقالت له: (يانبى الله أتحب ذلك أخرج ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك) فخرج ﷺ وفعل كما قالت، فتبعه المسلمون على ما فعل[3] وبذلك كان لأم سلمة من رجاحة عقلها، وحصافة رأيها ماجعل رسول الله ﷺ يستشيرها فى الأمور

(١) انظر: طبقات ابن سعد جـ٨ ص٦٤.

(٢) انظر المصدر السابق ص٦٦.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ص١٧٦، وصحيح البخارى كتاب المغازى.

الجليلة[1]. ثم مالبث أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين بشرى بما تم فى هذا الصلح.

وقد كانت أم سلمة آخر أزواج رسول الله ﷺ وفاة، فقد ذكر أنها توفيت عام ٥٩هـ ودفنت بالبقيع ولها من العمر أربع وثمانون سنة بعد أن جلست للفتيا وروت الحديث عنه ﷺ [2].

زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن داود بن أسد القرشية ،رضى الله عنها،:

وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ. كان اسمها بره فسماها رسول الله ﷺ زينب. وكانت من المهاجرات إلى

(١) هذا يوضح مدى احترام رسول الله ﷺ للمرأة ورأيها ومشورتها إذا كانت على صواب، كما يوضح إلي أى مدى كان النبى ﷺ يحترم رأى أزواجه ويستشيرهن حتى فى الأمور الجوهرية والهامة فى الدعوى الإسلامية إذا كان لهذا الرأى ثقله وصوابه، كذلك فى الأمور السياسة.

(٢) ابن هشام: السيرة جـ١ ص٣٤٩، جـ٣ ص٣٢٢، الواقدى: المغازى جـ٣، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٦٠ ـ ص٦٧، مصعب الزبيرى: نسب قريش جـ١٠ ص٣٣٨، الطبرى: تاريخه جـ٣ ص١٦٤، الطبرى المنتخب ص٦٠٣ ـ ص٦٠٤، البلاذرى: انساب الأشراف جـ١ ص٤٢٩ ـ ص٤٣٣، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص١٤٣ ـ ص١٤٤، الإحكام فى أصول الإحكام جـ٢ ص ٨٦ ـ ص٩٠، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٤٠٥ ـ ص٤٠٨، ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٧٩ ـ ص١٨٠، الذهبى: تاريخ الاسلام جـ١ ص١٠٧، ومابعدها، ص١٨٥ ـ ١٨٦، جـ٢ ص٤١٣ ـ ٤١٤، الكاشف جـ٣ ص٤٨٣، ابن الجوزى: فهوم الأثر، زينب فواز: الدر المنثور ص٥٣١ ـ ٥٣٢، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص١٢٩ ـ ص١٣٩، محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص١٣١ ـ ص١٤٧، صحيح البخارى: كتاب النكاح، باب إذا تزوج الثيب على البكر، وباب إذا تزوج البكر على الثيب، كتاب المغازى.

المدينة. تزوج رسول الله ﷺ زينب فى السنة الخامسة من الهجرة وكانت قبله متزوجة من زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول ﷺ ولم تنجب منه.

وفيها أنزل الله تعالى بعضا من آياته فى كتابه العزيز. فقد نزلت فيها آية:

﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً. وكان أمر الله مفعولا ﴾(١).

وقد كان النبى ﷺ قد خطبها لزيد بن حارثة حينما بعثت زينب إليه أختها حمنه بنت جحش تسأله وتستشيره فى عدد من رجال قريش تقدموا لخطبة زينب فقال نبى الله ﷺ (أين هى ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها) قالت: ومن هو يارسول الله؟ قال (زيد بن حارثه) فغضبت حمنه غضبا شديدا وقالت لرسول الله ﷺ: (يارسول الله أتزوج ابنة عمتك مولاك؟) وتقص زينب ذلك ثم تعقب بقولها: (وجاءتنى فأعلمتنى فغضبت أشد من غضبها فقلت أشد من قولها) فأنزل الله عز وجل: **﴿وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾**(٢).

(١) انظر اية ٣٧ من سورة الأحزاب،والآيات التى تليها وانظر تفسير ابن كثير عندها.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب انظر أيضا تفسير ابن كثير عند هذه الآية وأيضا تفسير البخارى عند هذه الآية.

فلما تم زواجها منه تعالت عليه، فشكاها لرسول الله ﷺ لسوء خلقها معه وتعاليها عليه، فكان يأمره بأن يتمسك بها ويتق الله. وقد فسرت الآية التالية بالآتى: ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه** ﴾ قيل بالإسلام ﴿ **وأنعمت عليه** ﴾ قيل بالعتق ﴿ **أمسك عليك زوجك** ﴾ ثم أنه لما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[1].

وكان الهدف من هذا الزواج هو إبطال التبنى الذى كان سائدا فى الجاهلية وكان محرما تبعا لذلك زواج الأب، زوجة الابن بالتبنى من بعده. فأراد الله تعالى أن يجعل زينب تطبيقا عمليا لمبدأ من مبادىء الاسلام، وهو هدم ما كان عليه العرب فى الجاهلية[2]. فتزوجها رسول الله ﷺ وأولم عليها بشاه وكان عمرها حينئذ خمسة وثلاثين عاما وأصدقها أربعمائة درهم. فزوجها الله تعالى لرسول الله ﷺ وبعث جبريل سفيرا لهذا الزواج، فكانت تفتخر على نساء النبى ﷺ وتقول: (أنا أكرمكن وليا وأكرمكن سفيرا).

وقد كانت وليمة العرس حافلة فقد ذبح رسول الله ﷺ شاة وأمر مولاه أنس بن مالك أن يدعو الناس إلى وليمة فترادفوا أفواجا حتى قال أنس: يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه.. فقال ﷺ (ارفعوا طعامكم).

وللمرة الثانية تدخل الوحى فى الحياة الزوجية لرسول الله ﷺ وزينب رضى الله عنها وذلك نتيجة لبقاء بعض المدعوين فى جلستهم (ثلاثة نفر) إلى أن طاف رسول الله ﷺ على نسائه وظل عند عائشة حتى أبلغه أنس

(١) انظر أيضا تفسير ابن كثير عند هذه الآية وما تليها.

(٢) يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب آية ٤٠ ﴿ ماكان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما﴾ وبذلك نهى الله تعالى بعد هذا (زيد بن محمد) فقد ولد له ﷺ القاسم والطيب والطاهر من خديجة، وإبراهيم من مارية القبطية، إلا أنه لم يعش له ولد ذكر فكان رسول الله ﷺ قد تبناه. انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

بخروجهم، فاتجه ﷺ إلى حجرة زينب فنزلت آية الحجاب الخاصة بنساء رسول الله ﷺ.

قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه. ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لايستحى من الحق. وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولاتنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾(١).

ومنذ ذلك الحين فرض الحجاب على نساء النبى ﷺ وعلى المؤمنات جميعا رمز تصون وعزة وترفع عن الابتذال(٢).

وقد كانت لزينب مكانة كبيرة عند رسول الله ﷺ كما ذكرت عائشة فى حديثها عنها (.. ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى) ثم تؤثر زينب وحدها بخصوصيتها فتقول: (لم تكن واحدة من نساء النبى تناصبنى غير زينب) وفى قصة المغافير (العسل) مايدل على هذه الغيرة(٣).

إلا أنه كان لزينب موقف طيب مع عائشة فى حديث الإفك، فقد دافعت عنها مما أثلج صدر عائشة معها حتى قالت: (.. أما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنه بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى بدينها لأختها فشقت بذلك)(٤).

(١) انظر سورة الأحزاب / اية ٥٣ وتفسيرها ابن كثير والبخارى فى صحيحه.
(٢) انظر أيضا سورة النور / آية ٣١.
(٣) انظر القصة فى ترجمة حفصة رضى الله عنها.
(٤) عن حديث الإفك انظر ترجمة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها.

وقد كانت زينب صالحة تقية صادقة التدين حتى شهدت لها عائشة بذلك قائلة: (ولم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد اتزانا لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب به إلى الله عن وجل).

كما وصفها رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب بقوله: (إن زينب بنت جحش أوّاهه أى: خاشعة متضرعة.. كذلك كانت تتصدق على المساكين ماتصنعه بيدها وتحسنه. ويروى أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أرسل إليها عطاءها بعد وفاة رسول الله ﷺ فتصدقت به على ذوى قرابتها وأيتامها ثم قالت: (اللهم لايدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا).

وقد اشتهرت بكثرة الصدقات حتى لقد ذكر أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: (أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا) فكانت أول من لحق به بعد وفاته لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

توفيت زينب بالمدينة عام عشرين من الهجرة بعد أن روت عن رسول الله ﷺ الأحاديث[1].

(١) انظر: ابن هشام: السيرة جـ٣ ص٨١، جـ٤ ص٣٣ ـ ص٣٧، ص٣٢٢، الواقدى: المغازى جـ٢ ص٤٣٠، جـ٣ ص٩٢٦، ص١١١٥.، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٧١ ـ ٧٦، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٣٣ ـ ص٤٣٨، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٤ ص٥٦٢ ـ ص٥٦٤، جـ٣ ص١٦٥، المنتخب ص٦٠٧، الأصبهانى، أبى نعيم: حلية الأولياءجـ٢ ص٥١ ـ ٥٤، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٠٦، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٢٥، ابن حجر الإصابة جـ٤ ص٣٠٧ ـ ص٣٠٨، ابن قتيبة: المعارف ص١٣٥ ـ ص١٣٦، النويرى: نهاية الأرب جـ١٧ ص١٨٠ ـ ١٨٢، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٧١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص١٤٦ ـ ص١٤٧، ابن القيم: زاد المعاد ص٩٣، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص١٧١ ـ ١٨١، محمد الطيب النجار: السيرة النبوية ص ٣١١ ـ ص ٣١٢، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ﷺ ص١٢٩ ـ ١٥٦، Muir: The life of Mohammed p.290-293.

جويرية بنت الحارث المصطلقية «رضى الله عنها»:

تزوجها رسول ﷺ بعد أن غزا غزوة المريسيع سنة خمس أو ست من الهجرة، وكانت ضمن سبى بنى المصطلق وابنة سيدهم، فوقعت فى سهم ثابت ابن قيس ابن شماس وأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها*، فقال لها ﷺ (هل أدلك على خير من ذلك. قالت: وما هو؟ قال: أقض عنك كتابك وأتزوجك فقالت: نعم. فتزوجها) وكان اسمها بره فسماها ﷺ جويرية.

تقول عائشة عن جويرية (كانت امرأة حلوة ملاحة لايراها أحد إلا أخذت بنفسه، فوالله ماهو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى ﷺ وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت).

وقالت عائشة: (رخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم) قالت: (فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها)(١).

وقد أسلم أبوها بعد أن رأى من علامات نبوة الرسول ﷺ ما رأى، وكان قد قدم لفداء ابنته، فأخذ النبى منه الفداء وأعطاه ابنته ثم خطبها منه وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم. وقيل إنها كانت ملك يمينه ثم أعتقها وتزوجها. وكانت فى العشرين من عمرها. وكان رسول الله ﷺ يقسم لها كنسائه وفرض عليها الحجاب.

توفيت جويرية عام خمسين من الهجرة فى خلافة معاوية وقيل سنة

* الكتابة: أن يعاتب الرجل عبده على ما يؤديه؛ فإن أداه صار حراً. وسميت كتابة، بمصدر كبت لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه حق العتق فإذا سعى وأداه أعتق. أنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (كتب).

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٢ ص٦١٠، ويقول ابن كثير فى تفسيره للآية ٥٠ من سورة الأحزاب أن قوله تعالى فى نساء رسول اله ﷺ ﴿ مما أفاء الله عليك ﴾ أن جويرية كانت مما أفاء الله عليه فأعتقها وتزوجها، كذلك كانت صفية بنت حيى فى خيبر).

٥٦هـ، وقد رويت الحديث عن رسول الله ﷺ ، وجلست للفتيا أيضا مع أمهات المؤمنين اللائى جلسن لها رضى الله عنها وعنهم[١].

أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية (رضى الله عنها)

وأمها صفية بنت أبى العاص بن عبد شمس، عمة عثمان بن عفان. ولدت أم حبيبة قبل البعثة بسبعة عشر عاما، وتزوجت من عبيد الله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ، وأنجبت له حبيبة التى كنيت بها.

أسلمت أم حبيبة وهاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة مع ابنتهما ومن هاجر معهم من المسلمين. إلا أن عبيد الله تنصر بالحبشة وتوفى مرتدا هناك. ولكنها تمسكت بدينها وصبرت عليه وظلت بالحبشة حتى خطبها رسول الله ﷺ من النجاشى، فأصدقها النجاشى أربعمائة دينار ذهبا، وكان ذلك سنة ست (وقيل) سبع من الهجرة[٢] ثم أقيم حفل الزواج الذى أقامه النجاشى وحضره المسلمون بالحبشة حيث أعطى الصداق لخالد ابن سعيد بن العاص وكيل الزوجة بالحبشة، ثم دعاها النجاشى إلى الطعام قائلا (احبسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج) فأكلوا ثم تفرقوا.

---

(١) ابن هشام: السيرة: جـ٣ ص ٣٣٩، ص٣٤٠، الطبرى: تاريخه جـ٢ ص٦١٠، جـ٣ ص١٦٥، المنتخب من ذيول الطبرى ص٦٠٩ ـ ص٦١٠، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٢٥١ ـ ٢٥٤، ابن الأثير: أسد الغابة مج ص٥٦ ـ ص٥٨، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٤١ ـ ص٤٤٢، ابن حزم: جوامع السيرة جـ٤ ص١٦١، الإحكام فى أصول الأحكام مج٢ ص٨٦ ـ ٩٠، ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٢٥٧، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٨٢ ـ ١٨٣، ابن الجوزى: فهوم الأثر ص٢٢، ص٣٧٠ ـ ص٣٧١، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٦٧، محب الدين: السمط الثمين ص١٩٧ ـ٢٠٠.
Muir: the life of Mohammed p. 295 - 298.

(٢) ذكر ذلك ابن الجوزى.

عادت أم حبيبة سنة سبع من الهجرة إلى المدينة وكان عمرها بضعة وثلاثين سنة. وبعث النجاشى معها شرحبيل بن حسنة ومعها هدايا العطر حيث أمر النجاشى نساءه بإهدائها إياها.

وعندما دخلت أم حبيبة المدينة نحر عثمان بن عفان الذبائح وأطعم الناس وليمة حافلة. وهنا يذكر العقاد أن النبى ﷺ كان يهدف بهذا الزواج مقصدا جليلا وهو أن يوصل بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب عسى أن يهديه ذلك إلى الدين بما يعطف من قلبه ويرضى كبرياءه(١).

كما ذكر ابن سعد فى رواية عن ابن عباس تفسيرا لقوله تعالى: ﴿ **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّه** ﴾(٢).

قال: حين تزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان. ولما علم أبو سفيان بزواج رسول الله ﷺ من ابنته قال: (ذلك الفحل لايجدع أنفه)(٣) وكان أبو سفيان لايزال على شركه يحارب رسول الله ﷺ . ثم لجأ إلى ابنته أم حبيبة ـ وذلك قبل فتح مكة ـ لتقوم بالوساطة لدى رسول الله ﷺ ليمد أجل الهدنة عشر سنين، وذلك بعد أن نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ (عهد الحديبية). فلما دخل بيتها فى المدينة وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوت الفراش دونه فقال لها: يابنيّة أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك: فقال: لقد أصابك بعدى شر. ورفضت أم حبيبة الوساطة لقريش عند رسول الله ﷺ. فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ لم يجبه إلى طلبه، فاضطر إلى العودة إلى مكة بعد أن رفض كل من أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم إجابته إلى غرضه.

---

(١) عبقرية محمد ص١٢١.

(٢) الممتحنة الآية ٧، وانظر طبقات ابن سعد حـ٨ ص٧٠.

(٣) والجدع فى اللغة هو القطع البائن سواء للأنف أو لغيرها وهو كناية عن عدم إمكان هزيمته ﷺ. والتجادع هو التخاصم .. ويقال أجدعهم بالأمر حتى يذلّوا. عن «جدع»: انظر: لسان العرب لابن منظور مادة «جدع».

ثم قامت أم حبيبة (رضى الله عنها) بمناصرة زوجها ودعت له بالنصر على أعدائه بعد أن أنصفها بزواجه منها وبعد أن امتحنها الله فى إيمانها أثناء هجرتها إلى الحبشة.

وعندما تأهّب رسول الله ﷺ والمسلمون معه لفتح مكة وقدموا عليها، قابله أبو سفيان بن حرب، وأعلن إسلامه وأكرمه رسول الله ﷺ فأعلن أنه (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن،ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن) فابتهجت أم المؤمنين أم حبيبة بتكريم زوجها رسول الله ﷺ لأبيها، وبعد وفاة رسول الله ﷺ جلست أم حبيبة للفتيا ورواية الحديث عنه ﷺ حتى توفيت بالمدينة عام ٤٤هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان(١).

صفية بنت حيى بن أخطب النضرية (رضى الله عنها) :

كانت أمها برّه بنت سموأل القرظية أخوة النضير. تزوجت صفية من سَلام بن مشكم القرظى ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى، فقتل عنها يوم خيبر. وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر فى العام السادس من الهجرة، وكانت ضمن السبى مع ابنة عم لها، فوهبها النبى ﷺ لدحيه الكلبى ثم اشتراها منه عندما ذكر له أنها سيدة قريظة والنضير وقيل له (ماتصلح إلا لك يا رسول الله).

---

(١) ابن هشام: السيرة جـ٣ ص٤١٨،الواقدى المغازى جـ٢ ص٧٤٢ ـ ص٧٩٢، ابن سعد الطبقات جـ٨ ص٦٨ ـ ص٧١، الطبرى: تاريخه جـ٣ ص١٦٥، المنتخب: ص٦٠٦، مصعب الزبيرى: نسب قريش جـ٤ ص١٢٢ ـ ص١٢٤، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٢٩٦ ـ ص٢٩٩، ص٤٢١ ـ ص٤٣٣، ابن حزم: جوامع السيرة ص١٢٨ ـ ص١٧٨، الإحكام فى أصول الأحكام مج٢ ص٨٦ ـ ٩٠، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١١٥ ـ ص١١٧، ص٣١٥ ـ ص٣١٦، ابن حجر: الإصابة جـ٤ ص٢٩٩ ـ ص٣٠٠، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٣٨ ـ ٤٤١، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٧١، ابن الجوزى: تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢١ ـ ص٢٢، ص٣٦٥، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص١٥١ ـ ١٥٨، عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ص١٢١، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص١٨٤ ـ ١٩٤.

وقد ذكر ابن هشام فى السيرة أن بلالاً قد مر بها على قتلى يهود مع ابنة عم لها فلام رسول الله بلال قائلا له: (يابلال أنزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما؟)(١).

فلما تزوجها رسول الله ﷺ أسلمت، وفرض عليها الحجاب وأولم عليها بوليمة من تمر وسويق وقسّم لها كنسائه فكانت إحدى أمهات المؤمنين. وكان عمرها حين تزوجها فى السابعة عشرة من عمرها، وكانت ذات عقل راجح وحلم وجمال، وكان قد خيرها بين عتقها وتسريحها وبين الإسلام وزواجه بها، فاختارت الإسلام وحسن إسلامها.

وعند (تبار) على بعد ستة أميال من خيبر أراد رسول الله ﷺ أن يعرس بها فأبت، فلما وصلوا (الصهباء) وهى أبعد من خيبر من الأولى أعرس بها رسول الله ﷺ. فلما سألها: (ماحملك على الذى صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟) فقالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك مكانة عند رسول الله ﷺ. وفى الصباح أولم وليمة.

وقد كان لأمهات المؤمنين من صفية مواقف عديدة منذ أعلن أن رسول الله ﷺ سوف يتزوجها، وكان لمحمد الزوج رد لكل موقف، دافع فيه عن صفية لما رآه من حلمها ورجاحة عقلها، كما كان ﷺ رفيقا بأزواجه. من ذلك ماذكره ابن سعد فى رواية عن عطاء بن يسار أنه لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر ومعه صفية أنزلها فى بيت من بيوت حارثة بن النعمان، فسمع بها نساء من الأنصار وبجمالها فجئن ينظرن إليها، وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها، فلما خرجت خرج رسول الله ﷺ على أثرها: فقال: كيف رأيتها ياعائشة؟ قالت: رأيت يهودية. قال: لاتقولى هذا ياعائشة فإنها قد أسلمت فحسن إسلامها).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية جـ٢ ص٣٣٦، انظر أيضا ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٦٩ ـ ص١٧٠، الطبرى جـ٣ ص١٣ ـ ١٤.

هذا وقد كان نساء رسول الله ﷺ يتفاخرن بأنهن خير منها فهن بنات عم النبى وأزواجه (عائشة وحفصة) فقال لها النبى ﷺ حين شكت له ذلك: (ألا قلت لهن كيف تكُنّ خيرا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد).

كما كان لنساء النبى ومنهن زينب بنت جحش مواقف مع صفية، إلا أنها كانت معهن حليمة عاقلة. فقد ورد حديث عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان فى سفر ومعه زينب بنت جحش وصفية قالت عائشة: (فاعتل[1] بعير صفية وفى إبل زينب فضل فقال لها: أن بعير صفية اعتل فلو أعطيتها بعيرا؟) أجابت فى ترفّع أنا أعطى تلك اليهودية؟ فتولى رسول الله ﷺ مغضبا وتركها شهرين أو ثلاثة أشهر لايمسها ثم عاد إلى ماكان عليه معها. ولم تحرم صفية من حماية رسول الله ﷺ لها حتى آخر أيامه، فقد روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراش رسول الله ﷺ فى مرضه الأخير، فقالت صفية: (إنى والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى، فتبادلت الأخريات نظرات ذات معنى. فقال لهن رسول الله ﷺ (مضمضن) فتساءلهن: من أى شىء؟ فأجاب ﷺ من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة).

وقد ظلت صفية بلباقتها وحلمها تهادن عائشة ومعها حفصة وسوده وكن يشكّلن جانبا فى بيت رسول الله ﷺ. كذلك هادنت بقية الزوجات ومعهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ اللائى مثلن الجانب الأخر.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ شاركت صفية فى المعركة السياسية التى قامت فى عهد عثمان بن عفان، فكانت مواليه لعثمان بن عفان وكانت تنقل الطعام والماء إليه على معبر خشب من منزلها إلى منزله فى محنة الحصار.

(١) اعتل: أى مرض.

ثم جلست للفتيا ورواية الحديث بعد وفاة رسول الله ﷺ وتوفيت عام خمسين أو اثنتين وخمسين من الهجرة(١).

ميمونة بنت الحارث الهلالية من قيس عيلان بن مضر ،رضى الله عنها،:

وأمها هند بنت عوف زهير بن الحارث الجرشية (أكرم عجوز فى الأرض أصهارا) حيث أنجبت بناتا أصهرت بهن رسول الله ﷺ، وأبى بكر الصديق، وعلى بن أبى طالب وحمزه بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم.

كانت ميمونة قبل زواجها من رسول الله ﷺ متزوجة من عمير بن عمر الثقفى فى الجاهلية، ففارقها، ثم تزوجت من أبى رهم بن عبد العزى من بنى عامر بن لؤى، فتوفى عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ عام ٧هـ بعد عمره القضية «بسرف» على عشرة أميال من مكة بعد أن تحلل من احرامه وأصدقها أربعمائة (وقيل: خمسمائة) درهم. وكانت ميمونة آخر أمرأة تزوجها رسول ﷺ وكان وليها العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ:

(١) ابن هشام: السيرة جـ٢ ص٣٣٦، جـ٤ ص٣٢٤، المغازى للواقدى جـ١ ص٣٧٤، جـ٢ ص٦١٨، ص٦٦٩، ص٦٧٣، ص٦٧٤، من ص ٧٠٤ ـ ص٧٠٩، جـ٣ ص١١١٤، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٨٥ ـ ٩٢، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٣ ص١٦٥ ـ ص١٦٦، ابن حزم: جوامع السيرة ص١٦٧، الإحكام فى أصول الإحكام مج٢ ص٨٦ ـ ص٩٠، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٣٧ ـ ٣٣٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٦٩ ـ ص١٧١، ابن حجر: الاصابة ج٤ ص٣٣٧ ـ ٣٣٩، الذهبى، الكاشف جـ٣ ص٤٧٤، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص٨٦ ـ ١٨٨، ابن القيم: زاد المعاد ص٩٧، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص٢٠٣ ـ ٢٠٩، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص١٦٧ ـ ١٧٦.

Muir, William: The life of Mohammed p.337.

انظر أيضا قصة الحضارة لول ديورانت مج٤ جـ٢ ص٣٩ (عن زواج رسول الله ﷺ بصفية رضى الله عنها).

وكان اسمها (بره) فسماها رسول الله ﷺ (ميمونة) بمناسبة المناسبة الغراء الميمونة التى دخل فيها أم القرى لأول مرة منذ سبعة سنين ومعه المسلمون آمنون لايخافون، ثم عاد إلى المدينة.

وقد ذكر ابن هشام زواجها من رسول الله ﷺ بقوله: (ويقال إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ وذلك أن خطبة النبى ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها، فقالت: البعير وماعليه لله ورسوله،فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾(١).

وقد اختلفت فيمن وهبت نفسها للنبى ﷺ.

هذا وقد اشتركت ميمونة (رضى الله عنها) مع نساء النبى فى الحملة التى أدت إلى المغاضبة والهجر، إلا أن مؤروخى الإسلام لم يذكروا لها أى خصومة انفردت بها، بل رضيت بشرف زواجها من النبى ﷺ. ولما اشتدّ المرض على رسول الله ﷺ فى مرض وفاته، رضيت أن ينتقل، حيث أحب إلى بيت عائشة الذى توفى فيه.

وقد شهدت لها عائشة بالتقوى فقالت: (أما أنها كانت والله أتقانا وأوصلنا للرحم). توفيت ميمونة رضى الله عنها بسرف عام ستين من الهجرة، وقيل ثلاث وستين من الهجرة فى خلافة زيد بن معاوية، عن عمر

(١) سورة الأحزاب/ آية ٥٠. وهنا يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (ويحل لك أيها النبى المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك). وقد كن اللائى وهبن أنفسهن للنبى كثير، إلا أنه ذكر فى رواية عن ابن عباس: (لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له. أى أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان ذلك مباحا له ومخصوصا لأنه مردود إلى مشيئته ولاتحل لغيره إلا إذا إعطاها مهرا). انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية.

يناهز الثمانين، فكانت آخر أزواج رسول الله ﷺ وفاة، بعد أن روت الحديث وجلست للفتيا كأزواجه ﷺ(١).

سريتا رسول الله ﷺ:

مارية بنت شمعون القبطية (أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ ،رضى الله عنها،:

كانت مارية (رضى الله عنها) قد أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ سنة سبع من الهجرة عندما أرسل إليه رسول الله ﷺ (حاطب بن أبى بلتعة) برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام. فأعظم المقوقس كتاب رسول الله ﷺ وقال:

(لولا الملك، يعنى ملك الروم، لأسلمت) وأهدى لرسول الله ﷺ (مارية) القبطية وأختها (شيرين) وشيخ كبير يدعى (مابور) كان أخا لمارية. فأهدى رسول الله ﷺ شيرين إلى حسان بن ثابت واحتفظ بمارية، وكانت قد أسلمت هى وأختها فى طريقهم إلى المدينة على يد حاطب بن أبى بلتعة.

كانت مارية بيضاء جميلة، ويقال إن أمها كانت رومية، وقد أنزلها ﷺ

(١) ابن هشام: السيرة جـ٣ ص٤٢٦، جـ٤ ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ (وقد ذكر فى جـ٤ الاختلاف فيمن وهبت نفسها للنبى ﷺ). الواقدى: المغازى جـ٢ ص٧٣٨ ـ ص٧٤٠، ص٨٢٩، ص٨٦٦، ٨٦٨، جـ٣ ص١١٠١، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٩٤ ـ ص١٠٠، الطبرى: تاريخه جـ٣ ص١٦٦، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٩١ ـ ص٣٩٥، ابن حزم:جمهرة أنساب العرب ص٢٧٤، الإحكام فى أصول الأحكام مج٢ ص٨٦ ـ ص٩٠، جوامع السيرة ص٢٩٠ ،ابن حجر: الإصابة جـ٤ ص٣٩٧ ـ ص٣٩٩، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص٢٧٢ ـ ص٢٧٤، ابن قتيبة: المعارف ص١٣٧ ،ابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٢٣٣، الذهبى: الكاشف جـ٣ ص٤٨٢، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص١٨٨، عائشة عبد الرحمن: نساء النبى ص٢١٢ ـ ص٢١٣، ابن الجوزى: فهوم الأثر ص٢٣ ـ ص٢٤، ص٣٦٥، محب الدين الطبرى: السمط الثمين ص١٨٩ ـ ص١٩٣.

مكانا يسمى (العالية فى المال الذى يقال له مشربة أم إبراهيم) وضرب عليها الحجاب وتسرّى بها.

حملت مارية من رسول الله ﷺ ووضعت له إبراهيم، وفرح رسول الله ﷺ بمولده وتصدق بوزن شعرِه فضة فى اليوم السابع لمولده وسماه ثم أعطاه لأم سيف ترضعه.

استعرت غيرة أزواج رسول الله ﷺ بحبه لابنه إبراهيم وأمه مارية وقد حرمن جميعا من الولد منه حتى أنه حرّمها يوما على نفسه إرضاء لحفصة فنزل قوله تعالى: ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** ﴾[1].

وكان قد خلا بها يوما فى بيت حفصه، فثارت حفصة لذلك، فحاول النبى ﷺ إرضاءها بتحريمها عليه، إلا أن الله ردّها عليه وكفر يمينه[2].

كما ذكر ابن سعد فى رواية عن أنس بن مالك أن البعض حاول اتهام مارية زورا فى خصى قبطى كان يأتيها بالماء، فبرأها الله تعالى بقدوم جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بقوله: (السلام عليك يا أبا إبراهيم) كما عرف ﷺ أنه مجبوب[3] وبإنجاب مارية لإبراهيم اعتقت فأعتقها ولدها، وأصبحت سُنّة عن النبى ﷺ. ثم مالبث أن توفى إبراهيم ولم يستكمل عامه الثانى سنة عشر من الهجرة ودفن بالبقيع.

وقد نهى رسول الله ﷺ مارية وأختها عن الصياح عند وفاته ثم غسّله الفضل بن عباس ودفن.

---

(١) سورة التحريم: آية ٢.

(٢) انظر تفصيل ذلك فى ترجمة حفصة بنت عمر بن الخطاب وانظر ما ذكرناه هناك ورأى ابن كثير فى تفسيره صدر سورة التحريم: آية ١ كذلك ماورد فى صحيح البخارى فى تفسيره هذه الآية.

(٣) انظر: طبقات بن سعد جـ٨ ص١٥٤ ـ ١٥٥.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: (لو عاش إبراهيم لأعتقت أخواله ولوضعت الجزية عن كل قبطى).

توفيت مارية القبطية رضى الله عنها فى المحرم عام ١٦ من الهجرة، وكان عمر بن الخطاب قد أوصى بجميع الناس لشهود جنازتها ودفنت بالبقيع.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر قائلا: (الله الله فى أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا وصهرا) فنسبهم أن أم اسماعيل النبى ﷺ منهم، وصهرهم أن الرسول ﷺ تسرى منهم...[1].

ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة النضرية ،وقيل، القرظية ،رضى الله عنها،:

اصطفاها رسول الله ﷺ من سبى قريظة، وكانت متزوجة من رجل من قريظة اسمه الحكم، فسباها رسول الله ﷺ ثم أعتقها وتزوجها وأصدقها ثم فرض عليها الحجاب، وذلك فى العام السادس من الهجرة.

إلا أن هناك روايات ذكرت أن النبى ﷺ خيرّها بين اليهودية والإسلام، فاختارت الإسلام بعد أن ظلّت على اليهودية فترة من الوقت، كذلك خيرّها بين أن تكون ضمن أزواجه أو تظل ملك يمينه، فاختارت أن تكون ملك يمينه قائلة له إن ذلك أخفّ عليها وعليه، إلا أنها فرضت الحجاب

(١) طبقات ابن سعد جـ٨ ص١٥٣ ـ ص١٥٦، ابن هشام: السيرة جـ١ ص٢٠٦، جـ٣ ص٣٥٢، الواقدى المغازى جـ١ ص٣٧٨، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ١ ص٤٤٨ ـ ٤٤٩، ابن عبد البر: الاستيعاب جـ٤ ص٣٩٦ ـ ص٣٩٨، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص٢٦١، جـ١ ص٤٩ ـ ص٥١ ترجمة إبراهيم بن رسول الله ﷺ، ابن حجر: الإصابة جـ٤ ص٣٩١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص١٥ ـ ١٦، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

على نفسها، حتى على أهلها، ذكر ذلك الواقدى. ومن ذلك يتبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ يطلق لأزواجه حرية الديانة، كذلك حرية اختيار زواجها منه أو البقاء ملك يمينه، ولكل منها التزاماتها. وهذا يدل على تفهّم نبى الرحمة العظيم لمدى حرية المرأة وكذلك مشاعرها.

توفيت ريحانة قبل وفاة رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة بعد رجوعها من حجة الوادع مع النبى ﷺ، ودفنت بالبقيع. وقد ذكر ابن الجوزى أنها روت الحديث عن رسول ﷺ(١).

وبذلك نرى مدى مثالية رسول الله ﷺ فى معاملاته مع أزواجه حتى فى أحرج المواقف. كان رسول الله ﷺ مثالا للتواضع والبساطة والرحمة والقوة والحزم والشجاعة فى آن واحد. فكان القائد فى الحرب، والزوج الحنون المثالى فى بيته، يساعد أزواجه، ويعين خدمه وعبيده، ويدلل أطفاله وأحفاده ويعلمهم القيم والمبادىء الإسلامية فى كلمات موجزة. وعندما يؤدب زوجه يؤدب فى صمت وترفع دون أن يكون سبابا أو لعانا أو قاسيا، بل كان كما روت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها جمع مكارم الأخلاق، وكان خلقه القرآن، كان عادلا فى بيته فى كل موقف اقتضى العدل، فى القسم بين الأزواج، فى النفقة والإقامة، حتى فى اصطحابهن إلى الغزوات، إلا أنه كان يحترم المرأة، كل امرأة تعامل معها احتراما كبيرا،فترك للمرأة حرية الرأى، وحرية العقيدة، وحرية الاختيار. وحتى

(١) ابن هشام: السيرة جـ٢ ص٢٦٤، الواقدى: المغازى جـ٢ ص٥٢٠ ـ ٥٢١، ابن سعد: الطبقات جـ٨ ص٩٢ ـ ٩٤، ابن عبد البر: الاستعياب جـ٤ ص٣٠٢ ـ ص٣٠٣، ابن الأثير: أسد الغابة مج٧ ص١٢٠ ـ ص١٢١، ابن حجر: الاصابة جـ٤ ص٣٠٢ ـ ص٣٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية جـ٥ ص٣٢٨، النويرى: نهاية الأرب جـ١٨ ص ١٨٤، ابن الجوزى: تلقيح فهوم الأثر ص٣٧٠ ـ ٣٧١،
Muir: The life of Mohammed P. 319-320.

عندما ابتلى فى زوجته عائشة بمحنة الإفك، صمت حتى يتبين له الحق من عند الله، ولم يعامل زوجته معاملة المتهمة أو يحكم عليها بالإثم، رغم أن كل القرائن قد تدينها، إلا أنه ظل وفيا صادقا معها رقيقا فى معاملاته حتى برأتها السماء، كذلك موقفه من مارية حينما اتهمت زورا فى خصى لها.

أما عن موقفه ﷺ من أزواجه حينما تظاهرن ضد مارية ثم، تطور الأمر إلى زيادة النفقة حاول معهن أن يهدىء من ثورتهن، دون أن يتطاول على أحد منهن.

وعندما أراد أبو بكر الصديق تقويم عائشة بالقوة، وكذلك عمر بن الخطاب تقويم حفصة بالعنف، طالبهما رسول الله ﷺ بالتزام الهدوء واعتزلهما مع باقى النساء لمدة شهر، فكان ذلك كافيا لتأديبهن جميعا بأخلاقه السامية وحكمته ورزانته حتى نزلت آيات التخيير، فخّير كل واحدة منهن، بدءا بعائشة رضى الله عنها بين الحياة معه بما فيها من تقشف وصبر وزهد والتى لن يحيد عنها أبدا، ومتاع الحياة الدنيا والتسريح بإحسان فقال لعائشة: (إنى ذاكر لك أمرا فلا عليك ألا تعجلى حتى تستأمرى أبويك) فردّت عليه عائشة رضى الله عنها (أفى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة) ثم خيّر نساءه كلهن فقُلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنها[1].

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أعطى لعائشة رضى الله عنها قدرا ضئيلا من التمييز بين نسائه، فذلك لأنها البكر الوحيدة، كما كانت صغيرة السن فكان يدللها تعويضا لها عن أشياء كثيرة، فكان هذا أيضا عدلا منه.

(١) انظر تفسير ابن كثير: عند آية ٢٨، من سورة الأحزاب وأيضا ماذكرناه فى صدر هذا الفصل.

ثم أنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿ **لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا** ﴾(١).

ويقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: (هذه الآيات نزلت مجازاة لأزواج النبى ﷺ على حسن صنيعهن، فى اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، لمّا خيّرهن رسول الله ﷺ كما تقدم، فلما اخترن الله ورسوله، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرّم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج فى ذلك وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن).

ويستطرد ابن كثير فيقول:

(روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء)(٢).

(وروى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: «لم يمت رسول الله › حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾(٣).

فجعلت هذه ناسخة للتى بعدها فى التلاوة، كآيتى عدّة الوفاة فى البقرة، الأولى ناسخة للتى بعدها والله أعلم.

---

(١) اية ٥٢ سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى.

(٣) آية ٥١ من الأحزاب.

(٤) انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآيات من سورة الأحزاب ٥١، ٥٢. وأيضا تفسير ابن جرير الطبرى.

وقال آخرون: (بل معنى الآية: ﴿ **لايحل لك النساء من بعد** ﴾ أى من بعد ماذكرنا لك من صفة النساء اللائى أحللنا لك من نسائك اللاتى آتيت أجورهن ومامَلكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبة وماسوى ذلك من أصناف النساء فلايحل لك..) ثم أضاف ابن كثير (واختار ابن جرير رحمه الله الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفى النساء اللواتى فى عصمته وكن تسعا، وهذا الذى قاله جيد..).

obeikandl.com